ملخص شرح مبادئ العقيدة

من كتاب

" ما لا يسع المسلم جهله "

إعداد

فضيلة الشيخ / **أشرف عبد المنعم**

[١]

التمهيد [من المخاطب ؟]

١. الأمة : هي المجتمعة على أصل الدين ومفارقة كل دين سواه ، فكل من يصح إثبات الإسلام له فهو من هذه الأمة .

٢. الأمة : هي الامتداد الصحيح للوجود الإنساني في الأرض .. وجود الإنسان المؤمن .

٣. الأمة : تجمع أبناءها مهما تفرقوا في الزمان والمكان والمذاهب والآراء والأعمال .

٤. الأمة (الممدوحة) : هي أمة الإجابة [الذين دخلوا في دين سيدنا محمد - صلى الله عليه وسلم -] تمييزا لها عن أمة الدعوة [الذين يجب عليهم الدخول في دينه - صلى الله عليه وسلم - لوجودهم حال بعثته أو بعدها] .

٥. الأمة : التي تحمل هم كل الناس (أخرجت للناس) .

٦. الأمة : تحتكم للوحي ، ويتوالى أبناؤها على الدين .

٧. الأمة : تحمل الهداية ، لهذا يحتاج إليها العالم .

٨. الأمة : موعودة بالنصر .. فالمستقبل لهذا الدين .

أركان الإيمان [ما الموضوع ؟]

[١] الإيمان له حقيقة [حقيقة معنى الإيمان] :

١. علم قلبي ،

٢. يظهره نطق بالشهادتين ،

٣. ويثمر عملا قلبيا ،

٤. يستدعي عملا ظاهرا .

[٢] الإيمان له أركان [ما الذي نؤمن به] :

١. الأركان الستة ،

٢. أصلها (الشهادتان [الإيمان بالله وبالرسول]) .

الإيمان بالله [ما أهميته ؟]

١. الإيمان (الصحيح) بالله = توحيد الله (نفرد الله [بكماله / وبعبادته]) .

٢. التوحيد (الإيمان بالله) : هو الفطرة لكل الناس :

(١) فكل الناس يحتاجون ويشتاقون إليه .

(٢) وكل الناس يميزونه (بقدر ما بقي عندهم من فطرة) .

(٣) ولا يناسب فطرة الإنسان ويسعده إلا التوحيد .

٣. التوحيد : هو دعوة جميع الأنبياء (عبادة الله وحده ، والبراءة من عبادة غيره) .

٤. التوحيد : هو الذي يسوي بين كل الناس في العبودية للرب الواحد .

ـ حتى الأنبياء الذين يبلغون (التوحيد) هم (عبيد) لله ، وليسوا (شركاء) معبودين معه (وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين) .

ـ فدعوى (عبادة) أحد الأنبياء ، أو (بنوته) لله ، من أبطل الباطل الذي أخذه النصارى وغيرهم عن الشيطان ، ليجتالهم عن دينهم .

٥. التوحيد : شرط لصحة الأعمال ، فتكون مجزئة في الدنيا (ولا يطالب صاحبها بها) .

ـ فأعمال المؤمنين الصالحة صحيحة ، وأعمال الكفار الصالحة باطلة (لئن أشركت ليحبطن عملك) .

٦. التوحيد : شرط لقبول الأعمال الصالحة ، ليثاب عليها في الدنيا والآخرة .

ـ فالموت على الردة محبط لصالح العمل ، وموجب للخلود في النار .

ـ وقيد (الموت على الردة) مهم ، لأنه لو تاب وآمن رجع إليه ما سبق من صالح عمله (وقت إسلامه الأول) .

ـ بل إن أعمال (الكفار) الصالحة تنفعهم إذا آمنوا " أسلمت على ما أسلفت من الخير" ، وإلا فإنها تنفعهم في الدنيا ولا تنجيهم في الآخرة (لكمال العدل الرباني) .

[٢]

توحيد الربوبية

١. الإيمان بالربوبية يتضمن :

[١] الإيمان بوجود الله .

[٢] الإيمان بأنه منفرد (بالخلق / والملك / والتدبير) [وهذا متضمن للأول] .

٢. من الأدلة على انفراد الله بالربوبية :

[١] الفطرة : فالإنسان مخلوق ضعيف محتاج بالضرورة إلى رب قدير [قد تغره النعمة ، وقد يجادل بالشبهة ، لكن لحظات الشعور بالحاجة تكشف فطرته] .

[٢] المخلوقات : فلا بد لها من خالق ، وهي شاهدة بصفاته بلا منازع .. فمن يخلق كل هذا؟ ومن يرعاه؟ ومن يرزقه؟ ومن يهيئ له مصالحه؟ ومن يهيئه لمصالح غيره من الكون حوله ؟

[٣] إجماع الأمم : على وجود رب خالق ، وإن اختلفوا في تمييزه وفي معرفة صفاته [وليس جاحدوا وجود الرب إلا الاستثناء الذي يؤكد القاعدة] .

ـ آية (أفي الله شك) فيها قولان :

(١) أفي وجوده شك ؟

(٢) أفي انفراده بالكمال والربوبية الموجب لإفراده بالعبادة شك ؟ [والثاني متضمن للأول] .

[٤] العقل : من خلال قواعد لا يملك عاقل أن يخالف فيها :

(١) **لكل فعل فاعل** (فالعدم لا يمنح الوجود لغيره) .
(٢) **مناسب** .. إذ الفعل مظهر لبعض صفات فاعله بالضرورة (علم / قدرة / إرادة / رحمة / حكمة...) .
[فالإحكام دال على الحكمة (ويتفكرون في خلق السماوات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار) .. وقصة الزنداني مع الدكتور الإنجليزي] .
(٣) **لا غيره** .. إذ لا ينسب الفعل لمن هو عاجز عنه (فكل مخلوق يفضحه عجزه ـ وما الطبيعة إلا مجموع الأوثان العاجزة) .
[تأمل : (كانا يأكلان الطعام) " حق على الله ألا يرتفع شيء من الدنيا إلا وضعه "] .

٣. توحيد الربوبية يستلزم توحيد الإلهية : فمن انفرد بالخلق والملك والتدبير والكمال كله ، يجب أن تفرده القلوب بالحب والتعظيم والخوف والرجاء والتوكل والطاعة وكل العبادة التي لا تليق إلا به ، بل التي لا تنبغي لغيره .

ـ لذلك فاستحضار الربوبية من أعظم ما يبني الإيمان (فيزيده / ويحافظ عليه) بما يمنحه من حياة لحقيقة العبودية للإله .

٤. ومن أقر بالربوبية (ولو بأصلها كمشركي العرب) ولم يلتزم بالعبودية (لغلبة هواه) لم ينفعه إقراره بالربوبية بل كان أعظم حجة عليه .

[٣]

توحيد الألوهية

١.توحيد الألوهية : إفراد الله وحده بالعبادة ، والبراءة من كل ما يعبد من دونه .
لأنه :

(١) الرب (الخالق المالك المدبر) وحده ، فيجب أن يكون المعبود وحده [كما سبق] .

(٢) دعوة الرسل والأنبياء (اعبدوا الله ما لكم من إله غيره) .

(٣) أمر الله لرسوله - صلى الله عليه وسلم - (قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون . ولا أنتم عابدون ما أعبد) .

٢.والعبادة (باعتبار ما يمكن أن تشمله) : اسم جامع لما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة .
لذلك :

(١) قال الله - عز وجل - : (قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين . لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين) [بهذا العموم الشامل للعباديات والعاديات] .

(٢) وقال - صلى الله عليه وسلم - : " وفي بضع أحدكم صدقة " قالوا : يا رسول الله ! أيأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر ؟ قال : " أرأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه وزر ؟ فكذلك إذا وضعها في حلال كان له أجر " [فالأجر لقصده تحري ما أحل الله واجتنابه ما حرم الله في هذا الفعل العادي، إذ قصد لزوم الطاعة عبادة لله] .

(٣) وتكون العبادة شاملة لما يلي :

[١] أركان : لا يثبت دين الإسلام إلا بها [مثل : أصل تعظيم الله - تعالى - (وربك فكبر) ، ولذلك يكون نقضه (بالانتقاص / أو بالاستهزاء / أو بالسب) ردة عن دين الله (ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون . لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم)] .

[٢] واجبات : لا يستحق المسلم اسم الإيمان (الذي يجعله من أهل الوعد بالثواب وينجيه من الوعيد بالعقاب)وتبرأذمته من المطالبة (في الدنيا والآخرة) إلا بها [مثل : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بحسب القدرة ، لذلك جاء فيمن لم ينكر المنكر " وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل " أي : الإيمان الواجب عليه بسبب رؤيته للمنكر] .

[٣] مستحبات : يثاب المسلم عليها ولا يستحق العقاب بتركها [مثل : السواك ، الذي هو " مطهرة للفم مرضاة للرب " . أو استحضار النوايا الصالحة في المباحات ، كما في أثر معاذ " إني لأحتسب نومتي كما أحتسب قومتي "] .

٣.فصرف العبادة (وهي المعاملة المختصة بالله) لغير الله نقض للتوحيد وكفر بالإيمان [كما سبق (ولقد أوحي إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين . بل الله فاعبد وكن من الشاكرين) (إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء)] .

توحيد التأله والتنسك

أول ما يتضمنه توحيد الألوهية : توحيد التأله والتنسك .

توحيد التأله والتنسك : إفراد الله بالأعمال التي لا تقام إلا على وجه التعبد والتقرب (ليس لها معنى آخر تقام لأجله) [مثل : الصلاة المعروفة] وبالأعمال التي فرض الله علينا إفراده بها (وإن كان لها معنى آخر يمكن أن تقام لأجله) [مثل : السجود في شريعتنا] ((وهو توحيد الله في الشعائر)) .

توحيد التأله والتنسك يشمل :

(١) الأعمال القلبية (المحبوبة لله) [مثل : الحب والتعظيم والخوف والرجاء ...إلخ] :

[١] ففي المحبة توحيد وشرك ينافيه (ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حبا لله ولو يرى الذين ظلموا إذ يرون العذاب أن القوة لله جميعا وأن الله شديد العذاب . إذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب ...) .

[٢] وكذلك في التعظيم (وربك فكبر) أي : وحده بالتكبير والتعظيم [مثل : (إياك نعبد وإياك نستعين) أي : نعبدك وحدك ونستعين بك وحدك] .

[٣] وكذلك في الخوف (وقال الله لا تتخذوا إلهين اثنين إنما هو إله واحد فإياي فارهبون) [إي اجعلوا رهبتكم للإله الواحد الحق ، ولا تؤلهوا غيره برهبته مثل رهبة الله] .

... وهكذا ...

(٢) الأعمال الظاهرة (المحبوبة لله) [مثل : الدعاء والذبح والصلاة والطواف ...إلخ] :

[١] ففي الدعاء توحيد وشرك ينافيه (إن الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم) لذلك (إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم ولا ينبئك مثل خبير) فحكم الله على من يدعى من دونه بالعجز ، وعلى من يدعو من دونه بالشرك .

[٢] وكذلك في ذبح القربان ، إذ يجب إفراد الله به كالصلاة (فصل لربك وانحر) لأنه من شعائر العبودية (والبدن جعلناها لكم من شعائر الله) .

... وهكذا ...

الغلو في الصالحين من أهم أسباب الشرك [كما في أثر ابن عباس عن (ود وسواع ويغوث ويعوق ونسر) " أسماء رجال صالحين من قوم نوح ، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى

مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصابا ، وسموها بأسمائهم ، ففعلوا ، فلم تعبد حتى إذا هلك أولئك ، وتنسخ العلم عبدت "] .

ـ لذلك قال - صلى الله عليه وسلم - : " لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم ، فإنما أنا عبده ، فقولوا عبد الله ورسوله " [والإطراء : مجاوزة الحد في المدح والكذب فيه (كما في قول : " وفينا نبي يعلم ما في غد ")] .

[٤]

توحيد الألوهية

١.توحيد الألوهية يتضمن :

(١) توحيد التأله والتنسك ((الشعائر)) .

(٢) توحيد الطاعة والانقياد ((الشرائع)) .

٢.توحيد الطاعة والانقياد : إفراد الله بالتزام طاعة تشريعه (فلا حلال إلا ما أحله، ولا حرام إلا ما حرمه ، ولا دين إلا ما شرعه) ((فهو توحيد الله في الشرائع)) .

٣.وبما أن توحيد الألوهية هو لازم توحيد الربوبية ، فإن " إفراد الله بالتزام طاعة تشريعه " مبني على :

(١) انفراد الله بالخلق (أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون) (الله خالق كل شيء) .

(٢) انفراد الله بالأمر الكوني [وهو التدبير الكوني = التصرف الكوني] (ومن يدبرالأمر فسيقولون الله) (قل إن الأمر كله لله) .

(٣) انفراد الله بالأمر الشرعي (إن الله يأمر بالعدل والإحسان ...) (أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون) .

(٤) من يُعطى حق التشريع يكون قد اتخذ ربا ، والتزام طاعته عبودية وتأليه له (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلها واحدا لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون) وعن عدي بن حاتم - رضي الله عنه - " أنه دخل على النبي - صلى الله عليه وسلم - وفي عنقه صليب من فضة ، وهو يقرأ هذه الآية : (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله) قال : فقلت : إنهم لم يعبدوهم . فقال - صلى الله عليه وسلم - : " بلى ، إنهم حرموا عليهم الحلال ، وأحلوا لهم الحرام ، فاتبعوهم ، فذلك عبادتهم إياهم " .

٤.ويترتب على توحيد الله في الطاعة ما يلي :

(١) الحكم الأعلى للوحي (الكتاب والسنة) لا غير :

[١] فالتنازع يُرد إلى الوحي الذي تجب طاعته (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا) .

[٢] ولا اختيار للمؤمن بعد حكم الوحي (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا) .

[٣] وإنما يطاع الرسول باعتباره مبلغا عن الله (من يطع الرسول فقد أطاع الله) (وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله) .

[٤] وإجماع الأمة معصوم من الخطأ ، ولا يكون إلا على دليل من الوحي (لأن ما كان من جنس الرأي لا يمكن الإجماع عليه) والتزامه من التزام طاعة الوحي (ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا) .

[٥] أما إعطاء غير الله الحق في التشريع - ولو في حكم واحد - فهذا من الشرك الأكبر، كما حكم الله على من سيطيع المشركين في حكم تحليل الميتة بعد أن حرمها الله ، فقال : (وإن أطعتموهم إنكم لمشركون) .

(٢) السنة حجة ملزمة للمؤمن ، لأن :

[١] الرسول - صلى الله عليه وسلم - معصوم في تبليغ الدين ، وهذا مجمع عليه بين المسلمين (وما ينطق عن الهوى . إن هو إلا وحي يوحى) .

ـ الخبر البلاغي ، ليخرج الاجتهاد النبوي ، والذي قد يعاتبه ربه عليه [مثل : العتاب على قبول الفداء في أسرى بدر] .

ـ الاجتهاد النبوي الذي أقره الله عليه ولم يعاتبه فيه ، صار وحيا معصوما بتقرير الله له (ولو تقول علينا بعض الأقاويل . لأخذنا منه باليمين . ثم لقطعنا منه الوتين . فما منكم من أحد عنه حاجزين) .

[٢] طاعة الرسول - صلى الله عليه وسلم - من طاعة المرسِل - سبحانه - " من أطاعني فقد أطاع الله " .

[٣] لا معنى للإيمان برسالته - صلى الله عليه وسلم - إذا لم تلتزم طاعته (وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله) .

[٤] كثير من أوامر الوحي أجملت في القرآن ، وفصلت في السنة ، فإهدار تفصيل الستة تعطيل لأوامر القرآن المجملة .

[٥] أمر الله بالرد إلى الرسول - صلى الله عليه وسلم - وبيان أن ذلك من لوازم الإيمان ، فقال : (فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر) فلو لم يمكن الرد إلى السنة ، لم يكن للرد عليها فائدة . ولا يمكن أن يردنا الله إلى ما لا يمكن ولا يفيد ابتداء ، ثم يجعل ذلك من لوازم الإيمان الذي لا نجاة إلا به انتهاء .

(٣) كل من أمرنا بطاعتهم من العلماء والأمراء والوالدين ونحوهم :

[١] طاعتهم فرع عن طاعة الله ورسوله (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم) .

[٢] طاعتهم مقيدة بطاعة الله ورسوله " إنما الطاعة في المعروف " .

[٣] العالم يطاع لأنه وسيلة لمعرفة حكم الوحي بعلمه، فإن تبين حكم الوحي بخلاف اجتهاده فلا طاعة له .

[٤] الحاكم يطاع لأنه وسيلة لإنفاذ حكم الوحي بسلطانه ، فإن تبين حكم الوحي بخلاف اجتهاده فلا طاعة له .

[٥] اجتهاد أهل العلم إنما هو في استنباط أحكام الشريعة من أدلة الوحي وما بني عليها . وشورى أهل الرأي إنما هو في محل للرأي من مسائل الاجتهاد أو العفو ، بما يتيحه الوحي .

[٦] والمصلحة المضادة لدليل الشرع هي مصلحة متوهمة [غير حقيقية] أو ملغاة [أهدرها الشرع لمضادتها لمصلحة أعلى منها] ، لأن الشرع إنما جاء لمصالح العباد في الدنيا والآخرة (ذلك خير وأحسن تأويلا) .

(٤) العلمانية المعاصرة من البدع المكفرة ، لأنها شرك مناقض للتوحيد :

[١] لأن حقيقتها إعطاء حق التشريع لغير الله ، والحكم الأعلى فيها لغير الوحي ، وفيها يمكن أن يحل الحرام ويحرم الحلال ويغير الشرع [مثل : إباحة الخمور ، وتجريم الزواج تحت سن الثامنة عشرة ، وجعل عقوبة السرقة هي السجن لا قطع اليد] .

[٢] وكل حكم مناقض للشريعة فإنما هو حكم جاهلي صادر عن اتباع الأهواء (أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون) (فإن لم يستجيبوا لك فاعلم أنما يتبعون أهواءهم ومن أضل مم اتبع هواه بغير هدى من الله) .

[٣] فالتحاكم الطوعي إلى غير ما أنزل الله يجعل الإيمان دعوى لا حقيقة لها (ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالا بعيدا) بل أقسم الله بنفسه الكريمة على عدم إيمان المتحاكم لغير الوحي (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما) .

ـ إذ من التوحيد : إفراد الله بالتزام طاعة تشريعه ، ومن الشرك إعطاء غير الله التزام طاعة تشريعه [فالكلام هنا عن رتبة التشريع دون ما تحتها] .

ـ وهذا الحكم مختص بالتحاكم الطوعي ، إذ هو المعبر عن (يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت) . بخلاف وضع الاضطرار الذي لا يستخلص فيه المؤمن حقه الشرعي إلا بحكم غير الله [مثل: قول يوسف : (ارجع إلى ربك فاسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهن)] .

[٤] ولا يرفض حكم شريعة الله ممن يدعي الانتساب إلى الإسلام إلا منافق ، فيظهر بذلك حقيقة الكفر الذي يخفيه (وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا) .

[٥] بل كيف يكون إكون إعطاء أهل الكتاب حق التشريع للأحبار والر هبان – وهم العلماء والعباد – شركا في الربوبية (أربابا من دون الله) وشركا في الألوهية (وما أمروا إلا ليعبدوا إلها واحدا) يتنزه الله

عنه (سبحانه عما يشركون) .. ثم يكون إعطاء المنتسب إلى الإسلام حق التشريع لمن ليسوا بعلماء ولا عباد ، يكون ذلك ليس شركا في الربوبية ولا شركا في العبادة والألوهية ؟!

الولاء والبراء

١.حقيقة العبودية : كمال الحب مع كمال الذل .

ـ ولذلك فالتعبد : الطاعة المقرونة بكمال الحب والذل .

٢.وحقيقة الولاء : الحب وما يثمره ، وأعلى ذلك ذلك النصرة (لله ، ولما يحبه ولمن يحبه) .

والبراء : البغض وما يثمره ، وأعلى ذلك العداوة (لما يبغضه الله ، ولمن يبغضه) .

ـ فحقيقة الولاء (وما ينبني عليه من البراء) من حقيقة العبودية (توحيد الألوهية) ، لأن كليهما أساسه (محبة الله - عز وجل -) .

٣.لذلك كانت موادة أعداء الله (حتى لو كان لهم محبة طبعية لقرابة أو نحوها) مما ينافي الإيمان (لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم) والثناء بالإيمان على من برئ من هذه الموادة (أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه ويدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها رضي الله عنهم) .

٤.وجعل الله لنا نموذجا إيمانيا (قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده إلا قول إبراهيم لأبيه لأستغفرن لك وما أملك لك من الله من شيء ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير) فالبراءة المذكورة هنا كانت من الكافرين ومن معبوداتهم الباطلة من دون الله (جميعا) .

٥.ونهانا عن موالاة الكافرين - مهما كانت علاقتهم بنا - (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم وإخوانكم أولياء إن استحبوا الكفر على الإيمان ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون) وخوفنا من العقوبات الدينية والدنيوية إن قدمنا محبتهم القلبية على المحبة الواجبة لله ولرسوله ولجهاد هؤلاء وأشباههم في سبيل الله (قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين) .

٦.فالولاء والبراء الشرعيان عنوان العلاقة الإيمانية بالله (وجودا وعدما / وقوة وضعفا) قال الله - تعالى -: (لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ون يفعل ذلك فليس من الله في شيء إلا أن تتقوا منهم تقاة ويحذركم الله نفسه وإلى الله المصير) .

٧.وبالتالي فإن ولاء المؤمن منحصر في الولاء على الإيمان (إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون . ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون) ، والبراء كذلك (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة وقد

كفروا بما جاءكم من الحق يخرجون الر سول وإياكم أن تؤمنوا بالله ربكم إن كنتم خرجتم في سبيلي وابتغاء مرضاتي تسرون إليهم بالمودة وأنا أعلم بما أخفيتمم وما أعلنتم ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل) .

٨.فولاء المؤمن :

[١] لله .

[٢] ولدينه .

[٣] ولرسوله .

[٤] وللمؤمنين (بقدر إيمانهم) .

٩.وبراء المؤمن :

[١] مما عبد من دون الله (إلا من كره ذلك لإيمانه ، مثل : عيسى ابن مريم) .

[٢] من كل دين غير الإسلام ، ومن كل ما يبغضه الله .

[٣] من الكفار .

١٠.أما من يجمعون أصل الإيمان مع فروع من العصيان (وإن كثرت) :

[١] يحبون من جهة إيمانهم (بقدره) .

[٢] يبغض عصيانهم (بقدره) .

[٣] وتبقى المحبة أغلب (لغلبة محبة الله لأصل الإيمان ولأهله ، فينجيهم ولو بعد حين) .

[٦]

حجية فهم السلف الصالح

١.لماذا نتكلم عن حجية الفهم ؟

(١) لأن كل منتسب للإسلام لا يسعه إلا أن يقبل ألفاظ الوحي (قرآنا وسنة) .

(٢) لكن قد تدعى أفهام مختلفة (وغير صحيحة) لتلك الألفاظ ، ولو باحتمالات ضعيفة ، أو مرجوحة ، أو حتى باطلة [وبهذا الشكل ظهرت انحرافات الفرق المبتدعة ، وتسبت إلى الدين بغير حق] .

(٣) فلا بد من فهم تقوم به الحجة على غيره ، ويميز به الحق من الباطل .

٢.كيف يضبط فهم الدين ؟

(١) الألفاظ وسيلة لنقل المعاني وضبطها ، فلا بد أن تكون دالة على المقصود منها [فنطلب المعاني من الألفاظ - وفق قواعد فهم اللغة العربية -] .

(٢) الله ورسوله - صلى الله عليه وسلم - موصوفان بـ :

[١] كمال العلم .
[٢] كمال النصح .
[٣] كمال البيان .

ـــ فليس أدل على الحق من ألفاظ الوحي الصادرة عنهما [فلا يعرض عن خطاب الوحي ، ويلجأ إلى غيره طلبا للهداية ، بل يستغنى بهداية الوحي عن غيره] .

(٣) الحق واحد ، تجتمع به الأدلة ولا تتناقض ، لأن مصدره واحد - سبحانه - [فالفهم الخاطئ - وإن توهم إنسان دلالة بعض ألفاظ الوحي عليه - فلا بد أن يوجد في ألفاظ الوحي ما يشهد للمعنى الصحيح ويبطل المعنى الخاطئ (ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا)] .

(٤) الصحابة - رضي الله عنهم - قد أخذوا الدين عن النبي- صلى الله عليه وسلم - لفظا ومعنى (فلم يأخذوا الألفاظ دون معان) ، فإن اجتمعوا على فهمفهذا دليل على أنه فهمه - صلى الله عليه وسلم - وهو الحق الذي لا تجوز مخالفته (ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا) [وقد سبق الكلام عن حجية الإجماع] .

(٥) ففهم الصحابة حجة على من بعدهم ، كما أن نقلهم حجة على من بعدهم ، إذ أن دينهم هو الذي شهد الله لأهله بالإيمان وبالجنان (والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجري تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم) " ستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة ، كلها في النار إلا واحدة ، وهي الجماعة : ما أنا عليه وأصحابي " .

(٦) وبهذا احتج الأئمة كما روى الذهبي [بإسناد صحيح] قول عباد بن العوام : قدم علينا شريك بن عبدالله [القاضي ، توفي ١٧٧ أو ١٧٨هـ.] منذ نحو خمسين سنة ، فقلنا له : يا أبا عبدالله ، إن عندنا قوما من المعتزلة ينكرون هذه الأحاديث : " أن الله ينزل إلى السماء الدنيا " [صفة النزول] و" أن أهل الجنة يرون ربهم " [صفة الرؤية] فحدثني شريك بنحو من عشرة أحاديث في هذا ، ثم قال : أما نحن ، فأخذنا ديننا عن أبناء التابعين عن الصحابة ، فهم عمن أخذوا دينهم ؟! " .

توحيد الأسماء والصفات

١.توحيد الأسماء والصفات : إفرالد الله بأسمائه الحسنى وصفاته العلا كما جاءت في الوحي .

ـــــ فالله سبحانه منفرد بكمال الأسماء والصفات ، وكل ما سواه فلا بد له من نقص ما .

٢.توحيد الله بأسمائه وصفاته : أصل ينبني عليه توحيده في ربوبيته (أفعاله) ، وكلاهما ينبني عليه توحيد الألوهية (إفراده بالعبادة) .

ـــــ فهو علم يثمر معاملة (وهي المقصودة المحبوبة لله - تعالى -) .

٣.لما أراد الشيطان أن يقطع على الناس طريق العبودية في معاملة رب العالمين ، وضع لهم الشبهات في طريق العلم به - سبحانه - ، ليشغل الناس بها عن الوصول إلى حقيقة معاملته - عز وجل - .

٤.قواعد أهل السنة في تلقي العلم بأسماء الله وصفاته - تعالى - :

(١) القول في الصفات كالقول في الذات :

ـ فكما نؤمن بذات الله نؤمن بصفاته - تعالى - ،
ـ وكما نؤمن أن ذاته لا تماثل ذوات المخلوقين فإننا نؤمن أن صفاته - تعالى - لا تماثل صفات المخلوقين ،
ـ وكما أننا لا ندرك حقيقة ذاته - عز وجل - فنحن أيضا لا ندرك حقيقة صفاته ، مع إيماننا بكل ذلك .

(٢) الاشتراك في الألفاظ ، لا يلزم عنه التماثل في الحقائق : فالله قد جمع في آية واحدة بين إثبات صفات (بألفاظ مشتركة بين الله وبين كثير من خلقه) وبين نفي التماثل في الحقائق (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) .. فليس إثبات الصفات من (التشبيه الممنوع شرعا : التمثيل) .

(٣) أهل السنة : هم أهل الإثبات والتنزيه : فإثباتهم بلا تمثيل ولا تكييف [التمثيل والتكييف : غلو في الإثبات : إفراط] وتنزيههم بلا تعطيل ولا تحريف [التعطيل والتحريف : غلو في النفي : تفريط] .

(٤) وتطبيق ذلك في قول الإمام مالك - رحمه الله - [والذي صار نموذجا يتناقله أئمة السنة بعده - وإن كان مرويا عن غيره أيضا -] لما سئل عن (الرحمن على العرش استوى) كيف استوى ؟ .. فقال : " الاستواء معلوم [أي : معناه في لغة العرب (وهو العلو والارتفاع)] . والكيف مجهول [وهي الحقيقة التي لم يطلعنا ربنا عليها] . والإيمان به واجب [أي : بالمعنى المعلوم الذي خاطبنا به ربنا] . والسؤال عنه بدعة [أي : عن الكيف المجهول الذي لا سبيل إلى معرفته بالنسبة لنا] " .

٥.من الأخلال في التعامل مع (توحيد الأسماء والصفات) :

(١) إحياء ذكر الشبهات القديمة عند من لا يعرفونها ، وتكليف عموم المسلمين بمعرفة تفاصيل لا يكاد يفقهها غير المتخصصين ، مما يعرضهم للفتنة في دينهم " ما انت محدث قوما حديثا لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة " .. وكأن هذا التوحيد لا يتحقق إلا بهذا !!

ـــ والواجب : ربط الناس بالجمل المحكمة من الوحي ، وردهم في التفاصيل بحسب احتياجاتهم إلى أهل العلم ، وحثهم على لزوم السنة ، وإحياء العلم لأجل العمل .

(٢) إغفال الكلام عن هذا التوحيد (الأسماء والصفات) وتجاوز تقرير الحق الذي عليه أهل السنة والجماعة فيه ، بدعوى عدم إثارة الخلافات ومحاولة التقريب بين المنتسبين إلى الإسلام .. وكأن نصرة الدين وجمع الأمة لا يتحققان إلا بهذا !!

ـــ والواجب : بيان الحق والدعوة إليه بالحكمة والموعظة الحسنة ، مع مراعاة مراتب الناس في مخالفة السنة (فمنهم القريب ، ومنهم البعيد) ، والحرص على جمع المسلمين لنصرة دينهم (وإن زل بعضهم فخالف السنة في أبواب) [ففي البناء : يحرص على البناء الصحيح . وفي الدفع : ندفع بكل من هو أقرب إلى الحق] .

[٧]

الشرك

١.لماذا نشرح (الشرك) ؟
[١] ليكمل ويتضح فهمنا للتوحيد (إذ بالضد يتبين الضد) .
[٢] لخطورته وتحذير الشرع منه (لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين) .

٢. التوحيد ضد الشرك ، والإيمان ضد الكفر .
ـــ التوحيد من الإيمان ، والشرك من الكفر .

٣. ولما كان التوحيد يشمل : إفراد الله بكماله في :
[١] أسمائه وصفاته ،
[٢] و ربوبيته ،
[٣] ألوهيته (عبادته) .

٤. فإن الشرك قد يكون [بحسب ما يقع فيه] :
[١] باعتقاد مماثل له في شيء من أسمائه أو صفاته [اعتقاد] .
[٢] باعتقاد مماثل له في شيء من ربوبيته [اعتقاد] .
[٣] ببذل شيء من العبادة (التي لا تجوز إلا له) لغيره - تعالى - [عمل] .

٥.وكما أن (عبودية الله) تشمل رتبا متدرجة :
[١] أصل للعبودية (أركان الدين) [لا تصح العبودية بدونها] .
[٢] واجب للعبودية (واجبات الدين) [لا يستحق دخول الجنة والنجاة من النار بدونها] .
[٣] مستحب للعبودية (مستحبات الدين) [لا يترقى في الدرجات العلا بدونها] .
ـــ والعبودية (الواجبة / والمستحبة) فرع للعبودية (الأصل / أو الركن) [فالطاعات كلها فروع الإيمان] .
ـــ (العبودية الواجبة) أقرب إلى (أصل العبودية) من (العبودية المستحبة) .

٦.كذلك (الشرك) ينقسم [بحسب رتبته] إلى :
[١] شرك أكبر (ينافي أصل العبودية) [نواقض التوحيد] .
[٢] شرك أصغر (ينافي العبودية الواجبة) [نواقص التوحيد] .
ـــ والمعاصي كلها (فروع للشرك) [نواقص للتوحيد] لكن لا يسمى منها (شركا) إلا ما سماه الشرع [على سبيل التغليظ لجرمه (بيان خطورة رتبته) والتنفير منه (سدا لذرائع الاقتراب أو الوقوع في الشرك الأكبر)] وأغلظ المعاصي بعد (الشرك الأصغر) : الكبائر ، ثم الصغائر .

٧.لا يخرج المكلف من الدين ، ويحكم عليه بالخلود في النار ، إلا بالشرك الأكبر [نواقض الإسلام] :
[١] سواء أكان باعتقاد أن غير الله يشارك الله في شيء من كمال أسمائه أو صفاته .
[٢] أو كان باعتقاد أن غير الله يشارك الله في شيء من كمال أفعاله وربوبيته .

[٣] أو كان بتوجيه عبادة (لا تحتمل غير معنى التعبد المحض) لغير الله :
(١) في التأله والتنسك [مثل : دعاء غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله] (إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم) .
(٢) أو في التحاكم والطاعة [مثل : إعطاء أصل الطاعة وحق التشريع المطلق لغير الله] (وإن أطعتموهم إنكم لمشركون) .
(٣) أو في تولي الكفر وأهله لأجل كفرهم (ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء) .

٨.الشرك الأصغر محبط للعمل الذي دخل فيه ، وهو من أكبر الكبائر (فذنب سماه الله شركا أعظم من ذنب لم يسمه شركا) لكنه لا يخرج من الدين (لأنه من نواقص الإيمان) .

٩.الشرك الأصغر : " كل ما نهى عنه الشرع ، مما هو ذريعة إلى الشرك الأكبر ، وجاء في النصوص تسميته شركا ، مع بقاء إسلام صاحبه " .
ـــ وقد يقع في :
[١] الأعمال القلبية [مثل : يسير الرياء ، إذ لو كان الرياء في أصل الدين لكان شركا أكبر] لحديث: " إن أخوف ما أخاف عليكم : الشرك الأصغر " قالوا : وما الشرك الأصغر يا رسول الله ؟ قال : " الرياء . يقول الله - عز وجل - يوم القيامة إذا جزي الناس بأعمالهم : اذهبوا إلى الذين كنتم تراءون في الدنيا ، فانظروا هل تجدون عندهم جزاء ؟ " .
[٢] الأقوال الظاهرة ، وهي الألفاظ [التي توهم تسوية المخلوق بالخالق ، فإن كان يقصد بها التسوية كان ذلك شركا أكبر] كما في حديث " من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك " [ما دام لم يقصد تعظيم غير الله مثل تعظيم الله] وكفارته قول : " لا إله إلا الله ". وكما في النهي عن قول: " ما شاء الله وشئت " أو: " لولا الله وأنت " [لأن العطف بالواو يوهم التسوية التي هي من الشرك الأكبر بين المشيئتين أو الفعلين] لكن يقول : " ما شاء الله ثم شئت " أو: "لولا الله ثم أنت " [ليبين كون مشيئة العبد تابعة لمشيئة الرب ، وفعل العبد تابع لفعل الرب – وهذا فيما يمكن نسبته لكل من الرب والعبد برتبتين مختلفتين ، بخلاف ما يختص به الرب ، فلا يقال : " توكلت على الله وعليك " لاختصاص التوكل بكونه على الله وحده شرعا -] .
[٣] الأعمال الظاهرة [التي تعطي للمخلوق ما ليس له وما لا يستحقه من تعلق القلب الممنوع به - مما لم يصل إلى درجة الشرك الأكبر -] كما في حديث : " من تعلق تميمة فقد أشرك " [ما دام يعتقد أن الله منفرد بالنفع والضر ، وإلا كان شركا أكبر . لكن الخلل أنه اعتقد ما ليس بسبب (للنفع / أو للضر) لا عقلا ولا شرعا، سببا لذلك، فهو ذريعة للشرك الأكبر وتعلق القلب به كالتعلق بالذي يملك النفع والضر - سبحانه وتعالى -] .

١٠. بين الشركين : الأكبر ، والأصغر :
حقيقته : نواقض الإسلام ، نواقص الإيمان التي سميت شركا .
علته : ممنوع لذاته ، ممنوع لغيره (سدا للذريعة) .
رتبته : أعظم الذنوب ، بعد الشرك الأكبر في تغليظ الذنب .
حكمه (في الدنيا) : الكفر والخروج من الإسلام ، العصيان والخروج من الاستقامة الواجبة .

حكمه (في الآخرة) : الخلود في النار ، يدخل في الموازنة بين الحسنات والسيئات .
زواله : بالتوبة منه فقط ، بالتوبة ، أو بالحسنات الماحية ، أو بالمصائب المكفرة .

الإيمان بالملائكة

١.الإيمان : يشمل علما وعملا ، بل هو علم يثمر عملا، أو عمل يتضمن علما .
ــ الإيمان بالملائكة : معرفة بهم تثمر علاقة عملية بهم وبربهم وبما يتصل بهم (أنفسنا / والكون) .

٢.الملائكة : هم نموذج كمال العبودية ، المتضمنة لكمال الخير الممكن في خلق الله - تعالى - ، لذلك كانوا عماله - سبحانه - في مملكته ، ومن أقرب الخلق إليه (مكانا / ومكانة) .

٣.الإيمان بالملائكة له رتبتان :

(١) إيمان مجمل :يعتقد فيه المؤمن بوجود الملائكة كخلق مطهر ومطيع لله في كل أمره ، فيحبهم ويوقرهم ويرجو الخير من جهتهم [دون معرفة تفصيلية بأسمائهم وأوصافهم وأحوالهم مع الله ومع خلق الله، مما يوجب (أي : المعرفة التفصيلية) معاملة تفصيلية لهم ولربهم الذي يعملون بأمره] .

(٢) إيمان مفصل : وهو رتب متفاوتة ، بحسب تفاوت المؤمنين في معرفة أسمائهم وأوصافهم وأعمالهم، واعتقاد ذلك بما يوجب أنواع المعاملات التفصيلية معهم ومع من يطيعونه - سبحانه - بل ومع النفس والخلق [وهو ما سنعرض لأصوله الكبرى فيما يلي] .

٤.من تفاصيل الإيمان بالملائكة (على سبيل التمثيل ، لا الحصر لكل التفاصيل) :

(١) مادة خلقتهم : ففي الحديث : " خلقت الملائكة من نور " .. والنور فيه الكمال والجمالوالشرف والهداية والصفاء ، فلهذا سرتصفات مادة خلقتهم في باقي صفاتهم [وهذا المعنى مطرد في الإنس والجن] .. ولذلك يوقرهم المؤمن ويرجو الخير من جهتهم (بأمر ربهم .

(٢) عظمة خلقهم وشدة قوتهم : الذي هو من آثار عظمة وقوة خالقهم القائل : (الحمد لله فاطر السماوات والأرض جاعل الملائكة رسلا أولي أجنحة مثنى وثلاث ورباع يزيد في الخلق ما يشاء إن الله على كل شيء قدير) .. فقرن عظمة خلقهم بعظمة خلق السماوات والأرض ، وعلل ذلك بكمال قدرته - تعالى - .. وفي صحيح البخاري عن ابن مسعود - رضي الله عنه - أن النبي - صلى الله عليه وسلم - " رأى جبريل له ستمائة جناح " .. فيوقرهم المؤمن ويعظم الله خالقهم .

(٣) كمال عبوديتهم وطاعتهم لله : فهم (لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون . يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يشفعون إلا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون) .. ولهذا فالمؤمن مأمور بالاقتداء بهم ، قال النبي - صلى الله عليه وسلم - : " ألا تصفون كما تصف الملائكة عند ربها ؟ فقلنا : يا رسول الله ، وكيف تصف الملائكة عند ربها ؟ قال : يتمون الصفوف الأولى ، ويتراصون في الصف " .

(٤) منهم أسباب الحياة الثلاثة :
[١] جبريل : ينزل بالوحي على الأنبياء (نزل به الروح الأمين . على قلبك لتكون من المنذرين) [فهو سبب حياة الأرواح بالوحي المنشئ للإيمان] .

ـــ لذلك هو أعظم الملائكة (الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس) ويخص بالذكر من بينهم لشرفه (يوم يقوم الروح والملائكة صفا)[والروح : جبريل] .
[٢] ميكائيل : الموكل بالمطر [فهو سبب حياة الأبدان بالماء] .
[٣] إسرافيل : الموكل بالنفخ في الصور [فهو سبب إعادة الأرواح إلى الأبدان للبعث والجزاء] .
ـــ لذلك كان النبي - صلى الله عليه وسلم – يتوسل لله بربوبيته لهؤلاء الثلاثة في دعائه الذي يطلب فيه إحياء القلب بالهداية " اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل ، فاطر السماوات والأرض ، عالم الغيب والشهادة ، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون ، اهدني لما اتلف فيه من الحق ، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم " [في استفتاح صلاة الليل] ،

(٥) ومنهم الذين :
[١] يحفظون كل إنسان (له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله) [أي : بأمر الله ، من كل مكروه إلا ما قدر عليه] .
[٢] يحملون العرش ، ومن يكونون حوله (الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا ...) .. فيجمعون بين التسبيح والإيمان من جهة ، ومحبة المؤمنين والدعاء لهم من جهة أخرى .
[٣] هم خزنة الجنة ، فيستقبلون المؤمنين قائلين لهم : (سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين) .
ـــ فيحبهم المؤمن ويحب من أمرهم بهذا الإحسان ، ويرجو أن يناله الحفظ والخير بذلك .

(٦) ومنهم الملكان الموكلان بمراقبة الإنسانوكتابة أقواله وأعماله ونواياه (إذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد . ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد) " فمن هم بحسنة فلم يعملها كتبها الله له عنده حسنة كاملة ... ومن هم بسيئة فلم يعملها كتبها الله له عنده حسنة كاملة " .. فيستحيي المؤمن ممن يراقب خلجاته وحركاته وسكناته ، ويخاف عاقبة سوء القصد والعمل .

(٧) ومنهم ملك الكوت وأعوانه [الذين يراهم الميت مد البصر] ، ومنهم منكر ونكير الموكلان بفتنة القبور .. فيكون العبد مع هؤلاء ومع ربهم بين الخوف والرجاء .

(٨) ومنهم من قد يعذب الكفار في الدنيا ، كما هدد ملك الجبال " إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين " كما أن منهم من يلعن بعض العصاة " من أشار إلى أخيه بحديدة ، فإن الملائكة تلعنه حتى يدعه ، وإن كان أخاه لأبيه وأمه " " إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فأبت ، فبات غضبان عليها ، لعنتها الملائكة حتى تصبح " ومنهم خزنة النار وعلى رأسهم مالك (ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك قال إنكم ماكثون ...) .. فيخاف المؤمن سوء عاقبة الكفلا والعصيان ، يخاف من جند الله ومن ربهم الذي بأمره يعملون .

(٩) فالمؤمن يتولاهم ، فرعا عن ولايته لله - عز وجل - ، ويتجنب أذيتهم " من أكل البصل والثوم والكراث ، فلا يقربن مسجدنا ، فإن الملائكة تتأذى مما تتأذى منهى بنو آدم " .. ويخشى أن يحرم بركة القرب من ملائكة الرحمة " لا تدخل الملائكة بيتا فيه كلب أو صورة " [أي : الكلب الذي يحرم وجوده ، والتمثال] .. فعداوتهم من عداوة رب العالمين - سبحانه - (من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فإن الله عدو للكافرين) .

٥.فالإيمان بالملائكة علاقة كاملة بأقرب الخلق وأطوعهم لله ، والذين هم محيطون بالإنسان في شأنه كله .. هي فرع عن العلاقة بالله .. وهي مغية للعلاقة بالله .. لأن الإيمان بالملائكة من أركان الإيمان الذي خلق الإنسان ليحققه ، ويسعد بقدر ما يحققه في الدنيا والآخرة .

الإيمان بالكتب

١.الإيمان : كما سبق الكلام عنه (علم / وعمل) .
ــ الكتب : أي : التي تتضمن كلام الله المنزل لعباده (الكتب الإلهية) .
ــ فالإيمان بالكتب الإلهية : اعتقاد أنها كلام الله المنزل لعباده مع ما يثمره ذلك من علاقة عملية بالكتب ، وبمن أرسلها ، وبمن كان رسولا بها ، وبما تتضمنه من أخبار وأوامر .

٢.الإيمان بالكتب له رتبتان :

(١) إيمان مجمل : يعتقد فيه المؤمن بوجود كتب تتضمن كلاما من كلام الله ، أنزلها الله لعباده ، عن طريق رسله الكرام. فيحب ويعظم - بإجمال - ربه ورسوله وكلام ربه [وإن لم يعرف تفاصيل تلك الكتب ، وعلى من أنزلت ، وما الذي تتضمنه] .

(٢) إيمان مفصل : وهو رتب متفاوتة ، بحسب تفاوت المؤمنين في معرفة أسماء تلك الكتب ، ومعرفة الرسل الذين أنزلت عليهم ، ومعرفة شيء مما تضمنته تلك الكتب من أخبار أو أوامر . واعتقاد ذلك بما يوجب مزيد محبة وتعظيم للمرسل - سبحانه - وللرسل - عليهم السلام - وللكلام الرباني الموجود في تلك الكتب ، مع التزام طاعة تفاصيل الأوامر ، والانتفاع التفصيلي بالأخبار [عن الله ، وعن خلقه] .

٣.فمن الإيمان بالكتب الإلهية :

(١) الإيمان بأن الله أنزل القرآن على رسوله محمد - صلى الله عليه وسلم - امتدادا لإنزاله كتبا متعددة على رسله وأنبيائه ، كما أنزل التوراة على موسى ، والإنجيل على عيسى ، والزبور على داود ، والصحف على إبراهيم وموسى ، وأنزل غير ذلك مما لم نعرف تفاصيله ، لكننا أمرنا بالإيمان به : (يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذي نزل على رسوله والكتاب الذي أنزل من قبل) (قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون) [أي : لا نؤمن ببعض ونكفر ببعض] .. وهذا الاعتقاد يثمر محبة رب العالمين ذي الكرم الواسع الذي تكرر ، وامتد إحسانه لعباده بهذه الكتب المتوالية (مع غناه عن جميع الخلق ، ومع ضعف شكر الخلق لهذا الفضل المتكرر) .. كما يثمر الحياء من التقصير في شكر هذا الإحسان .

(٢) كمال هذه الكتب في (أخبارها / وأوامرها) الذي هو من كمال المتكلم بها تعالى .. يزيد المؤمن تعظيما لربه ولصفاته ولكلامه .

(٣) اجتماع هذه الكتب على الدعوة إلى التوحيد (دين جميع الأنبياء والمرسلين) .. يثمر تعظيم شأن التوحيد ومزيد الاهتمام به .

(٤) تفاوت تفاصيل الشرائع المنزلة على الأنبياء (لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا) وبناء ذلك على العلم والحكمة والعدل والرحمة .. يثمر مزيد تعرف على الكمال الرباني ، وثقة في إصلاح تشريعاته للناس في مختلف الظروف .

(٥) تفاصيل الأخبار المشتملة على صنع الله (بأوليائه / وأعدائه) وعدا ووعيدا ، وتفاصيل الأحكام (الأوامر / والنواهي) .. كل ذلك يثمر الخضوع لله ولكلامه ، ويثمر تحرك قلب المؤمن بين الخوف والرجاء .

٤.الكفر بأي من هذه الكتب ، كفر بالله - سبحانه - منزلها (ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالا بعيدا) .

٥.أما ما يترتب على تحريف الكتب السابقة :

(١) الوعيد لأولئك المتجرئين على كلام الله (فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون) .

(٢) تمييز ما بها إلى ثلاثة أقسام :
[١] ما شهد القرآن بصحته .. نؤمن به .
[٢] ما شهد القرآن ببطلانه .. نرده ونرفض نسبته للوحي .
[٣] ما سكت القرآن عنه .. فلا نصدقه ولا نكذبه (لعدم القدارة على التمييز) حتى لا نؤمن بباطل ، وأيضا حتى لا نكذب بحق ، ففي الحديث : " لا تصدقوا أهل الكتاب ، ولا تكذبوهم ، وقولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إليكم ، وإلهنا وإلهكم واحد ، ونحن له مسلمون " .

(٣) فلا يجوز (على الراجح) ذمه (كله / أو بإجمال) أو امتهانه ، بل تبقى له بقية حرمة ، بما فيه من بقية حق .

٦.خصوصية الإيمان بالقرآن :

(١) إنه محفوظ بحفظ الله (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) .. بخلاف الكتب السابقة التي وكل حفظها إلى أصحابها ، فلم يقوموا بحق ذلك .

(٢) إنه ناسخ لما سبقه (وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه) فهو أمين ، وشاهد ، وحاكم عليها .

(٣) إنه الآية الباقية إلى آخر الزمان ، ففي الحديث : " ما من الأنبياء نبي إلا أعطي ما مثله آمن عليه البشر ، وإنما كان الذي أوتيته وحيا أوحاه الله إلي ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة " .

(٤) وجوب التحاكم إليه إلى آخر الزمان ، وعدم الافتتان بالخروج عن حكمه إلى أحكام الأهواء ، ولو في شيء ما (وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عم بعض ما أنزل الله إليك) .

(٥) فلا يتحقق الإيمان إلا باتباع أحكامه (الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته أولئك يؤمنون به ومن يكفر به فأولئك هم الخاسرون) [التلاوة : من التلو ، وهو : الاتباع] فيحل المؤمن حلاله ، ويحرم حرامه ، ويقرأه كما أنزله الله ، ولا يحرف الكلم عن مواضعه ، ولا يتأول منه شيئا على غير تأويله [فلا يحرف ألفاظه / ولا معانيه] .

(٦) ومن الإيمان بالقرآن : التزام أوامر الرسول - صلى الله عليه وسلم - ونواهيه (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) .. ولهذا قال ابن مسعود - رضي الله عنه - : " لعن الله الواشمات والمتوشمات ، والمتنمصات ، والمتفلجات للحسن ، المغيرات لخلق الله . فبلغ ذلك امرأة من بني أسد يقال لها أم يعقوب ، فجاءت فقالت : : إنه بلغني أنك لعنت كيت وكيت . فقال : وما لي لا ألعن من لعن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ومن هو في كتاب الله . فقالت : لقد قرأت ما بين اللوحين ، فما وجدت فيه ما تقول . قال : لئن كنت قرأتيه لقد وجدتيه ، أما قرأت : (ما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) ؟ قالت : بلى . قال : فإنه قد نهى عنه " .

(٧) ومن الإيمان بالقرآن : الاعتبار بأخباره (فاعتبروا يا أولي الأبصار) .. وذلك بإدراك أسباب الخير والشر في (الدنيا / والآخرة) .. وبتعدية آثار تلك الأسباب إلى من يشارك أصحابها فيها .

(٨) القرآن ينقسم إلى :
[١] محكم : < ١ > حقيقي : واضح الدلالة بذاته [مثل : (لم يلد ولم يولد)] .
< ٢ > إضافي : واضح الدلالة بغيره [مثل : (وابتغوا إليه الوسيلة) تتبين بحديث : " من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد "] .

[٢] متشابه : < ١ > حقيقي : خفي الدلالة الذي لا سبيل إلى معرفة حقيقته [مثل : حقائق الغيب والصفات الربانية] .
< ٢ > إضافي : خفي الدلالة بنفسه ، والذي تتضح دلالته بغيره [مثل : (وابتغوا إليه الوسيلة) تتبين بحديث : " من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد "] .

ـــ المحكم الإضافي هو المتشابه الإضافي نفسه ، لكنه قسمان باعتبار الناس :
< ١ > فمن خفي عليه ، كان في حقه من المتشابه الإضافي .
< ٢ > ومن استبان له ، كان في حقه من المحكم الإضافي .
ففي الحديث : " إن الحلال بين ، وإن الحرام بين ، وبينهما مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس " فدل على أن (هناك قليل يعلمون) .

ـــ المحكم هو (أم الكتاب) أي :
< ١ > أصله الذي يرد غيره إليه (باعتبار المحكم الحقيقي) .
< ٢ > أكثره الذي أمرنا بتدبره (باعتبار المحكم الإضافي مع المحكم الحقيقي) .

ـــ المتشابه الحقيقي : لا يضر المؤمن عدم العلم به ، وليس مخاطبا بفهمه .

ـ الواجب مع المتشابه :
< ١ > الرد إلى المحكم ، ليحكم معناه (وهذا مع المتشابه الإضافي) .
< ٢ > التفويض إلى علم الله ، وقوفا عند العلم بالمعنى وتسليما في الكيفية (وهذا مع المتشابه الحقيقي) .

(٩) العلاقة مع القرآن : بانية للإيمان ، وكاشفة لحقيقته (وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا) (الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله ذلك هدى الله يهدي به من يشاء ومن يضلل الله فما له من هاد) .

[١٠]

الإيمان بالرسل

١.الإيمان : كما سبق (علم / وعمل) أو (تصديق / وانقياد) .

٢.الأنبياء والمرسلون : من أوحى الله بالدين إليهم من البشر .

ـ وفي التفريق بينهم أقوال (مع الاتفاق على أن كل رسول نبي ، ولا عكس) :

(١) باعتبار (الأمر بالبلاغ) : فمن أوحي إليه بدين ولم يؤمر بتبليغه ، فهو نبي .. أما إن أمر بالتبليغ ، فهو رسول .
ـ وهذا أضعف الأقوال (مع أنه أشهرها) لدليلين :
[١] قوله - تعالى - : (وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي) .. فكلاهما مرسل .
[٢] إن الله قد ذم من لا يبلغون ما عندهم من الدين والعلم ، بل أخذ العهد على العلماء (لتبيننه للناس ولا تكتمونه) .. فكيف لا يكون الأنبياء مأمورين بالبلاغ ؟!

(٢) باعتبار (التشريع الجديد) : فمن أوحي إليه بشرع من قبله ، فهو نبي .. أما إن كان تشريعا جديدا ، فهو رسول .
ـ ويشكل عليه (مع أنه المختار في الكتاب) :
[١] نبوة آدم ، ففي حديث الشفاعة يقول الناس لنوح : " أنت أول رسول إلى أهل الأرض " .. فآدم لم يكن رسولا ، بل نبيا ، مع أن شريعته كانت جديدة (أول شريعة) .

(٣) باعتبار (المرسل إليهم) : فمن أرسل إلى مؤمنين ، فهو نبي .. ومن أرسل إلى كفار ، فهو رسول .
ـ وهذا (أرجح الأقوال) إذ به تجتمع الأدلة ، فقوم نوح أول من كفر من الناس ، ومن بعث إليهم كان أول رسول .. وبين موسى وعيسى أنبياء كثيرون ، فلما كفر بنو إسرائيل كان عيسى لهم (رسولا) .. وهكذا .

٣.الإيمان بالرسل : اعتقاد إرسال الله لهم ، وتصديقهم في إخبارهم عنه - تعالى - ، ومحبتهم وتعظيمهم لمكانهم عنده - عز وجل - ، والتزام طاعتهم في أوامرهم ونواهيهم التي خوطبنا بها ، على وجه العبودية لمن أرسلهم - سبحانه - .

٤.الإيمان بالرسل له رتبتان :

(١) إيمان مجمل : وهو ما سبق ذكره :
[١] ويتعلق بمن لم نعرف تفاصيل أسمائهم وأحوالهم ، ممن لم يخبرنا الله عنهم (منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك) .
[٢] أو يكون ممن فاته العلم بتفاصيلهم التي بلغتنا في الوحي .

(٢) إيمان مفصل : وهو رتب متفاوتة ، بحسب تفاوت المؤمنين في العلم بتفاصيل أولئك الرسل ، وتفاصيل ما أرسلوا به (خبرا / وأمرا) .. إذ يزداد إيمان المؤمن كلما اعتقد تفاصيل أكثر عن الرسل وعما

بلغوه من أخبار ، فيزداد لهم ولرسالاتهم حبا وتعظيما ، ويلتزم المؤمن طاعة ما خوطب به من تفاصيل الشريعة (أمرا / ونهيا) ويزداد انقياده لتلك النشريعات .

٥.من الإيمان بالرسل :

(١) اعتقاد أنهم أكمل البشر ، ولذلك اختارهم ربهم (الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس) .. مما يثمر تعظيمهم فرعا عن تعظيم من أرسلهم (إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا . لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه) أي : تعظموه وتجلوه وتقوموا بحقوقه .. كما يثمر - مع بشريتهم - الا قتداء بهم (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا) (أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده) .

(٢) اعتقاد كثرتهم ، حتى إن لم تخل منهم أمة (وإن من أمة إلا خلا فيها نذير) مع عظم شفقتهم على من أرسلوا إليهم حتى قال الله لنبيه محمد - صلى الله عليه وسلم - : (فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا) أي : لا تهلك نفسك أسفا عليهم لعدم إيمانهم .. كل ذلك رحمة من الله بعباده .. مما يثمر محبتهم ومحبة من أرسلهم - سبحانه - .

(٣) اعتقاد عصمتهم في بلاغ الدين ، وأمانتهم في القول ، ولذلك أيدهم ربنا بالآيات التي تقيم الحجة وتقطع العذر (رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة إلا الرسل) (وما ينطق عن الهوى . إن هو إلا وحي يوحى) .. مما يثمر اليقين بما بلغوه ، والطاعة لما أمروا به (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) لأنه (من يطع الرسول فقد أطاع الله) .

(٤) اعتقاد أنهم جاءوا بدين واحد (ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبجوا الالله واجتنبوا الطاغوت) وشرائع قد تختلف في بعض الفروع (لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا) .. فنلتزم دين التوحيد ، وشرائع رسولنا محمد - صلى الله عليه وسلم - ، التي خوطب الناس بها من البعثة الشريفة وإلى آخر الزمان ، لكونه (رسول الله وخاتم النبيين) .

(٥) لا يتحقق الإيمان برسول منهم إلا بالإيمان بجميعهم - على سبيل الإجمال - (آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله) أي : فيما ذكرنا من الإيمان بهم .

(٦) لذلك فمن كفر برسول واحد ، كان كافرا بالله وبرسله أجمعين (إن الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا . أولئك هم الكافرون حقا وأعتدنا للكافرين عذابا مهينا) .. فكل من لا يؤمن برسول الله محمد - صلى الله عليه وسلم - (تصديقا / وانقيادا) فهو كافر بالله وبكل رسله ، مهما ادعى أنه مؤمن ببعضهم ، ولا تنجيه دعواه تلك عند رب العالمين ، ولا عند عباده المؤمنين .

الإيمان باليوم الآخر (١)

١.اليوم الآخر : يوم الجزاء ، كما قال الله : (يوم الدين) .
ــ وهو يشمل :
(١) الموت ، والقبر إلى البعث (البرزخ) ، فإن من مات فقد قامت قيامته (القيامة الصغرى) [لانقطاع عمله ، وبداية جزائه الصافي] .
(٢) يوم البعث والحساب (القيامة الكبرى) ، والذي تتحدد فيه مصائر المكلفين [ويلحق به علامات نهاية الحياة الدنيا (الصغرى / والكبرى) والتي تكون قبله] .
(٣) الجنة والنار [بما فيهما من نعيم وعذاب] حيث يخلد المكلفون من (المؤمنين / والكفار) .

٢.الإيمان باليوم الآخر : اعتقاد أنه بعد الموت جزاء ، يكون بخلود في الجنة أو خلود في النار ، وثمرة ذلك من تعظيم ذلك اليوم وتعظيم مالكه - سبحانه - ، مع الحب والخوف والرجاء والخضوع .

٣.الإيمان باليوم الآخر ، له رتبتان :

(١) إيمان مجمل: وهو ما سبق ذكره [دون التفاصيل التي يشملها، وبالتالي دون الثمرات التفصيلية لها].

(٢) إيمان مفصل : وهو رتب متفاوتة ، بحسب تفاوت المؤمنين في العلم بالتفاصيل التي يشملها ، وفي قوة اليقين بها ، وفي درجات ثمرات تلك المعرفة التفصيلية من التعظيم والحب زالخوف والرجاء والخضوع .

٤.(الحكمة من الآخرة) ثبوت الآخرة واجب بالعقل ، والوحي يدعم ذلك الوجوب ويعطينا التفاصيل [لأن حكمة الخلق لا تتحقق إلا بالجزاء ، ولا يكمل الجزاء في الدنيا ، فلا بد من آخرة يكون فيها كمال حصول وظهور الجزاء لكل المكلفين] .
ــ [فكما سبق] الإحكام دليل الحكمة (ويتفكرون في خلق السماوات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار) .
ــ والحكمة لا تتم إلا بكمال الجزاء (وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت بلى وعدا عليه حقا ولكن أكثر الناس لا يعلمون . ليبين لهم الذي يختلفون فيه وليعلم الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين) .

٥.(القدرة على الآخرة) الأدلة الإجمالية على (البعث والجزاء) :
(١) الخلق الأول (كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا إنا كنا فاعلين) .
(٢) الخلق الأكبر (أوليس الذي خلق السماوات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم) .
(٣) اليقظة بعد النوم " الحمد لله الذي أحيانا بعدما أماتنا وإليه النشور " .
(٤) إحياء الأرض الميتة (وآية لهم الأرض الميتة أحييناها) .

٦.قامت الدعوة على الارتباط بين (الإيمان بالله) و (الإيمان باليوم الآخر) .. مثل ما جاء في ما حكاه الله - تعالى - : (وإلى مدين أخاهم شعيبا فقال يا قوم اعبدوا الله وارجوا اليوم الآخر) .. وكم قال النبي - صلى الله عليه وسلم - : " من كان يؤمن بالله واليوم الآخر ... " .. فبينما كان الإيمان بالله هو (الهدف المقصود) فإن الإيمان باليوم الآخر كان هو (الباعث الداعي إليه) .

٧.العلم بموعد الساعة من الغيب الذي اختص الله به نفسه (يسئلونك عن الساعة أيان مرساها قل إنما علمها عند ربي لا يجليها لوقتها إلا هو ثقلت في السماوات والأرض لا تأتيكم إلا بغتة يسئلونك كأنك حفي عنها قل إنما علمها عند الله ولكن أكثر الناس لا يعلمون) " ما المسئول عنها بأعلم من السائل " .. لأنه لا ينتفع الناس بمعرفته ، ولا يتوقف الإيمان عليه ، بل إن غيبيته من أعظم عوامل تأثيره الصالح على العباد .

٨.خلق الله الكون للإنسان (وسخر لكم ما في السماوات وما في الأرض جميعا منه) ، وخلق الإنسان ليحقق الإيمان (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون) ، فإذا زال الإيمان والمؤمنون من الحياة ولم يبق مجال لعودته " لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض : الله الله " ، أزال الله هذا الكون ، ليبدأ بعدها اليوم الآخر وما فيه من كمال وظهور الجزاء (وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسماوات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون) .

الإيمان باليوم الآخر [٢]

١.جعل الله ليوم القيامة علامات قبله (صغرى / وكبرى) وذلك لحكمتين ساريتين في (الخلق / والأمر) وهما :
(١) تقديم الإنذار ، رحمة بالعباد ، لعلهم يحسنون الاستعداد للقاء ربهم .
(٢) جريان التدرج ، وفق قوانين الأسباب والنتائج ، في زوال العالم ، كما كان في إنشائه .

٢.تنقسم علامات يوم القيامة (باعتبار قربها منه ، وبالتالي دلالتها على قربه) إلى :
(١) صغرى : وهي الأبعد نسبيا ، والممهدة للكبرى ، إنذارا بقرب القيامة [وقد بدأت ببعثة النبي - صلى الله عليه وسلم - " بعثت أنا والساعة كهاتين ، ويقرن بين أصبعيه السبابة والوسطى "] .
(٢) كبرى : وهي الأقرب إلى القيامة ، وإذا بدأت تتوالى ، حتى تزول الحياة الدنيا [وتبدأ بظهور الإمام المهدي ، الذي يتحقق معه ومع عيسى - عليه السلام - تمام ظهور الإيمان على كل الأرض (وهو آخر وأكمل ظهور ، بمثابة ختام حكمة الحياة الدنيا)] .

٣.يجمع معنى العلانات الصغرى (بعد البعثة النبوية) : اختلال أحوال الحياة ، وانقلاب موازينها :
(١) وقد كان ذلك ظاهرا قبل البعثة النبوية " وإن الله نظر إلى أهل الأرض عربهم وعجمهم فمقتهم إلا بقايا من أهل الكتاب " .
(٢) ثم حصل إصلاح واستقامة كبيران ، في عصر النبوة والخلافة الراشدة (من خلال دعوة زجهاد وصبر) وكل خير إلى آخر الزمان هو من أثر ذلك وبركته .
(٣) لكن الاختلال بدأ يدب مرة أخرى في أواخر الخلافة الراشدة (أحداث الفتنة) ، ويستمر إلى زمن المهدي ويزداد .. وفي الوسط تجديدات كثيرة (إحياء للدين ، ونصرة للأمة) تمهد لكمال ظهور الإيمان في آخر الزمان (فترة المهدي / وعيسى) حتى لا يبقى على الأرض إلا نفس مؤمنة .

٤.لذلك : تضيع الأمانة ، ويوسد الأمر إلى غير أهله ، ويقبض العلم بقبض العلماء ، وتنتشر الفتن ، وتكثر الفواحش ، ويكثر القتل ، وتكثر الزلازل (كعقوبات قدرية بالمصائب) ، ويتقارب الزمان ، ويدعي دجالون النبوة ، ويتطاول رعاء الشاء الذين كانوا فقراء في البنيان ، وتتداعى الأمم على المسلمين [إذ لا يطلب الدين من أهله ، ولا يملك الدنيا أهلها (وفي ذلك فساد الدين والدنيا)] .

٥.العلامات الكبرى تكون سريعة جدا في تتابعها ، ويكون فيها :
(١) نصر الإيمان وكمال ظهوره في أكبر معاركه الأخيرة على الأرض [حيث يتولى المهدي ، وتكون الملحمة الكبرى ، ثم يخرج الدجال (أعظم فتنة) ، وينزل عيسى إلى الأرض فيباد الدجال وعصابته] .
(٢) كمال البركة على الأرض [الحفظ من يأجوج ومأجوج ، فيسود الإسلام والسلام ، وترد الأرض بركتها] .
(٣) التمييز الأخير بين الناس ، حيث يتسارع الخلل بشدة ، ويضعف المؤمنون ، فينهى امتحان الحياة الدنيا [بخروج الشمس من مغربها ، وبالدابة التي تميز بين الناس] .

(٤) نهاية وجود الإيمان [ترفع المصاحف ، وتنسى الشرائع ، ثم تأتي الريح الطيبة فتقبض كل نفس مؤمنة] .
(٥) نهاية وجود الدنيا ، إذ لا يبقى إلا شرار الناس ، عليهم تقوم الساعة [الهول الأعظم ، مناسب للشر الأكبر] .

٦.فالآيات تزيد اليقين ، وتبني الخوف والرجاء ، وتدعو للتوكل والخضوع (فهل ينظرون إلا الساعة أن تأتيهم بغتة فقد جاء أشراطها فأنى لهم إذا جاءتهم ذكراهم) .

٧.وبموت كل إنسان تبدأ آخرته [أي : جزاؤه ، بعد انقضاء عمره في الدنيا] ولا يستوي الناس في الموت وما بعده ، كما لم يستووا في عملهم في الدنيا ، ولا في معاملة الله لهم فيها [أي : في الدنيا] (أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم) ساء ما يحكمون) .

٨.الحياة : اتصال الروح بالبدن على صفة معينة ،
ـ والموت : مفارقة الروح للبدن [فلم يعد الاتصال بينهما على نفس الصفة السابقة] ،
ـ والبعث : رد الروح إلى البدن على صفة الاتصال الأولى .
ـــ فالقبر : ما بين الموت إلى البعث [وإن لم يقبر الإنسان] وفيه " حياة برزخية " [أي : اتصال بين الروح والبدن على صفة غير الصفة الموجودة حال الحياة] .
ـــ مثال : اتصال الروح بالبدن حال النوم مختلف عن اتصال الروح بالبدن حال اليقظة (الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها) .

٩.في القبر سؤال : عن " الرب ، والدين ، والرسول " كما في آية : (يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء) .. وتفسير النبي - صلى الله عليه وسلم - لها : " المسلم إذا سئل في قبره يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ، فذلك قوله : (يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت) " .

١٠.وفي القبر نعيم أو عذاب : هو مقدمة لما يكون في القيامة ، قال الله : (وحاق بآل فرعون سوء العذاب . النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب) .. فالعرض على النار غدوا وعشيا من العذاب لهم قبل يوم القيامة ، وبالعكس ينعم المؤمنون قبل يوم القيامة .
ـــ كل ما مضى عليه إجماع أهل السنة ، ولم يخالف فيه إلا بعض أهل البدع .

١١.فضح الموت الدنيا ، إذ ردها إلى حقيقتها حجما وقيمة .. وهو المستقبل الأكيد الذي لا بد منه ومما بعده (قل إن الموت الذي تفرون منه فإنه ملاقيكم ثم تردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون) .

[١٣]
الإيمان باليوم الآخر [٣]

١.من أصناف المنكرين ليوم القيامة :
(١) الذين ينكرون المبدأ والمعاد (المبدأ : أن الله خلقهم ابتداء ، والمعاد : أن الله يعيدهم يوم القيامة) .
(٢) الذين يقرون بالمبدأ وينكرون المعاد [وقد سبق الرد على هذين الصنفين] .
(٣) الذين يقرون بالمبدأ ويقرون بمعاد الأرواح لكنهم ينكرون معاد الأبدان [وأدلة المعاد تتضمن الرد على هؤلاء أيضا] .
ـــ وكل ما سبق كفر بالله (تكذيب له ، وانتقاص لحكمته وعدله وقدرته - تعالى -) .

٢.البعث : رد الأرواح إلى الأبدان (على الصفة التي كانت متصلة بها في الدنيا) .
ـ الحشر : الاجتماع يوم القيامة للحساب (على أول خلقتهم - متجردين عن كل زينة) .
ـ العرض : وهو نوعان :
(١) العرض العام : عرض كل الخلائق على ربهم ، لا تخفى عليه منهم خافية .
(٢) العرض الخاص : عرض معاصي المؤمنين عليهم وتقريرهم بها ، وسترها عليهم ومغفرتها لهم .
ـ الحساب : المناقشة ، وفي الحديث " من نوقش الحساب يوم القيامة عذب " .

٣.كتب الأعمال : فيها كل ما عمله المكلف بقلبه وجوارحه .
ـ الشهود : الملائكة (الحفظة / والكرام الكاتبون) والرسل (يشهدون على أقوامهم) والأرض (يومئذ تحدث أخبارها) بل وجوارح المكلف نفسه .
ـ الموازين : للصحف [كما في حديث " البطاقة "] والأعمال [كما في حديث " كلمتان ... ثقيلتان في الميزان "] والعامل نفسه [كما في حديث " ساقي ابن مسعود "] .
ـــ ففي الكتب : كمال الإحصاء ، وفي الشهود : كمال المحاسبة ، وفي الموازين : كمال العدل .
ـ افتراق الأمم : تتبع أمم الكفر معبوداتها حتى تسقط في النار ، وتبقى الأمم المنتسبة إلى (الإسلام العام) [بمؤمنيها / ومنافقيها] .
ـــ هذا أول افتراق (يتوافق فيه الباطن والظاهر) .
ـ المرور على الصراط (فوق النار) : يفرق فيه بين المنتسبين إلى الإسلام [منافقون / وعصاة تغلب سيئاتهم / ومؤمنون تغلب حسناتهم] .
ـــ التفاوت على صراط الآخرة ، كالتفاوت على صراط الدنيا .

٤.الكوثر : الحوض الذي أعطاه الله للنبي - صلى الله عليه وسلم - [إكراما وتشريفا له ولأمته خاصة] .
ـــ وهو من الخير الكثير الذي أعطاه الله له - صلى الله عليه وسلم - ، مقابل انقطاع الكفر وأهله .
ـــ وهو من مواضع تمييز أهل الاستقامة عن غيرهم .

٥.الشفاعة : التوسط للغير لجلب منفعة أو دفع مضرة .
ـــ حكمة الشفاعة (الأخروية) : الرحمة بالمشفوع فيه ، وتكريم وتشريف الشافع .
ـــ شروط الشفاعة :

(١) الإذن للشافع (من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه) .
(٢) الإذن والرضا عن المشفوع فيه [أن تناله الشفاعة ، وإن لم يكن من أهل الرضا المطلق (والذي تلزم عنه النجاة)] (ولا يشفعون إلا لمن ارتضى) .
(٣) الإذن في نوعية الشفاعة نفسها (قل لله الشفاعة جميعا) [(جميعا) تدل على أنها أنواع ، وقد يأذن الله لواحد في شفاعة ، ولا يأذن بغيرها] .

ـ أنواع الشفاعة :

(١) شفاعات مختصة بالنبي محمد - صلى الله عليه وسلم - :
[١] الشفاعة العظمى : وتكون في أهل الموقف لفصل القضاء بينهم (وهي : المقام المحمود) .
[٢] استفتاح باب الجنة : وتكون ليبدأ دخول المؤمنين إليها .
(٢) شفاعات غير مختصة به - صلى الله عليه وسلم - [للملائكة والأنبياء والصالحين والشهداء] :
[١] لعدم دخول النار : وتكون فيمن استحق النار من الموحدين (لغلبة سيئاته على حسناته) .
[٢] للخروج من النار : وتكون فيمن دخل النار من الموحدين .
[٣] لرفع الدرجات في الجنة : وتكون فيمن دخل الجنة ، لرفع رتبته فيها .

٦.أهوال القيامة ، يوقن بها المؤمن فيعظمها ، ويعظم الرب الجليل الذي يقضي بين العباد فيها [وترد الدنيا وأهلها إلى قيمتهم الحقيقية] .
ـ ألطاف الله بالمؤمنين فيها تستدعي من المؤمن محبة عظيمة لربه الذي يشمله بالإحسان في الدنيا والآخرة، وتجعل رجاءه في كرم ربه لا غير .
ـ فضح المجرمين وتعذيبهم فيها يستدعي من المؤمن خوفايثمر الأعمال التي بها ينجو مما يخاف (والذين آمنوا مشفقون منها ويعلمون أنها الحق) " من خاف أدلج ، ومن أدلج بلغ المنزل ، ألا إن سلعة الله غالية ، ألا إن سلعة الله الجنة " .

٧.وآخر ذلك : دخول المؤمنين الجنة (خالدين فيها) .
ـ ودخول الكافرين النار (خالدين فيها) .
ـ ودخول من غلبت سيئاته على حسناته إلى النار [لكنه لا يخلد فيها كالكفار] .

٨.والجنة والنار : مخلوقتان معدتان لأهلهما ، باقيتان بإبقاء الله لهما ولما فيهما .

٩.كل ما في الدنيا من (لذة / أو ألم) إنما هو ليحصل إدراكنا (لجنسها) وحبنا (للذة) وكراهيتنا (للألم) إذ أن كمالهما إنما يكون في (الجنة / أو النار) .

١٠.نعيم الجنة : يشمل نعيم الروح والبدن ، وأعلاه رؤية وجه الله - عز وجل - .
ـ نعيم الجنة : فضل على نعيم الدنيا بأنه :
(١) كامل (وفي الدنيا ناقص) .
(٢) صاف (وفي الدنيا منغص) .
(٣) باق (وفي الدنيا منقطع) .

١١.وعذاب النار : يشمل عذاب الروح والبدن ، وأغلظه الحجاب عن رب العالمين .
ــ عذاب النار : أشنع من عذاب الدنيا بأنه :
(١) كامل (وفي الدنيا ناقص) .
(٢) صاف (وفي الدنيا مشوب بالرحمة) .
(٣) باق (وفي الدنيا منقطع) .

١٢.لذلك فإن غمسة واحدة في الجنة تنسي كل بؤس في الدنيا ، وغمسة واحدة في النار تنسي كل نعمة في الدنيا .. فلا خير في خير بعده النار ، ولا ضر في ضر بعده الجنة .

[١٤]
الإيمان بالقدر [١]

١.القدر : علم الله السابق بكل شيء ، وكتابته لذلك ، ثم نفاذ مشيئته في كل شيء ، وخلقه وحده لكل موجود سواه .
ـــ فالقدر يشمل أربع حقائق : (علم ، كتابة ، مشيئة ، خلق) .
ـــ إذا اجتمع (القضاء والقدر) : اختصى القدر بأول ثلاثة (العلم ، والكتابة ، والمشيئة) ، واختص القضاء بالرابع (الخلق) [على الراجح، لقوله - تعالى -: (فقضاهن سبع سماوات في يومين) أي: خلقهن].

٢.الإيمان بالقدر : يقين بانفراد الله بتلكم الحقائق الأربعة ، وما يثمره ذلك من تعظيم له - تعالى – وثقة فيه واعتماد عليه ، مع خوف ورجاء وخضوع له - سبحانه - .

ـــ الإيمان بالقدر له رتبتان :
(١) مجمل : ويكون بالحد الأدنى من ذلك اليقين وآثاره ، وبه يصح أصل الإيمان .
(٢) مفصل : ويتفاوت بحسب تفاوت المؤمنين في يقينهم ذلك وفي آثاره التعبدية العظيمة .

٣.بيان الحقائق الأربعة للقدر :

(١) كمال العلم السابق : فعلم الله كامل (محيط بكل شيء) وسابق (لا يجد عليه شيء) .
[١] بدليل : (وأن الله قد أحاط بكل شيء علما)، بالإضافة لأدلة سبق الكتابة [فهي تتضمن سبق العلم].
[٢] العلم قوة كاشفة غير مؤثرة ، فلا تأثير له على اختيار العبد وفعله [مثال : علم الإنسان بشيء لا يعني تأثيره عليه] .
[٣] سبق العلم كمال رباني [لاستواء علمه بالمستقبل مع علمه بالماضي والحاضر] .
[٤] القدرية الأوائل (نفاة القدر) كانوا ينفون (علم الله السابق) ، ولذلك كفرهم الصحابة (كابن عمر) والأئمة [لأن كمال علم الله وسبقه ، من المعلوم من الدين بالضرورة ، والأدلة متكاثرة عليه في الوحي وظاهرة] .

(٢) كتابة العلم : إثبات له (في اللوح المحفوظ ابتداء ، ثم فيما تفرع عنه [كما في التقدير العمري (حين يكتب الملك مستقبل الجنين) وفي التقدير الحولي (فيها يفرق كل أمر حكيم) أي : في ليلة القدر من كل عام]) .
[١] بدليل : (ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير) و " إن أول ما خلق الله القلم . فقال له : اكتب . قال : رب ، وماذا أكتب ؟ قال : اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة " و " رفعت الأقلام وجفت الصحف " .
[٢] كتابة العلم كمال فوق كمال ، بإثبات سبق العلم وإظهار ذلك لمن شاء من خلقه .
[٣] الكتابة إثبات لما سبق العلم به، فلا تؤثر على اختيارات المكلفين، إنما تظهر كمال الرب - سبحانه - فقط " ما من نفس منفوسة إلا وقد كتب الله مكانها من الجنة والنار ، وإلا وقد كتبت شقية أو سعيدة " .
– [يوضحه حديث : " هو في النار " للمتعبد المجاهد ، حتى قال الراوي : " أشهد أنك رسول الله "] .

(٣) كمال مشيئته - تعالى - ونفاذها في كل شيء : فيكون كل ما أراد ، ولا يكون إلا ما أراد .
[١] الإرادة الربانية تنقسم إلى نوعين :
< ١ > كونية : وهي التي يتعلق بها الخلق (إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون) [وهي التي تسمى أيضا " المشيئة "] وهذه لا يخرج عنها شيء [وهي المقصودة هنا في "القدر "] .
< ٢ > شرعية : وهي التي يتعلق بها الأمر الشرعي (ومن كان مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر) [وهي التي تستلزم المحبة (بخلاف الكونية)] وهذه يلتزم بها المطيع ويخرج عنها العاصي [وهي المقصودة في " الشرع "] .
ـــ فتجتمع الإرادتان في المطيع ، وتفترقان في العاصي [إذ يخرج بمعصيته عن الإرادة الشرعية ، لكنه (مثل كل شيء) داخل الإرادة الكونية (المشيئة) التي لا يخرج عنها شيء] .
[٢] بدليل : (فعال لما يريد) و (إن الله يفعل ما يشاء) وليس أحد له كمال المشيئة الربانية ونفاذها في كل شيء ، بما في ذلك مشيئة المكلفين (وما تشاءون إلا أن يشاء الله) .
[٣] وهذا من الكمال الرباني ، فكمال الصفات من كمال الموصوف - سبحانه وتعالى - ، والله ينفرد بأكمل الكمال .
ـــ فكل من سوى الله : صفته منه ، مخلوقة كما هو مخلوق ، محدودة كما هو محدود ، مقيدة كما هو مقيد [فالعبد يريد ولا يفعل ، أو يفعل ولا يريد ، لنقصه ونقص صفاتهخ . والعبد لا يريد إلا في المواضع التي يشاء ربنا أن يريد فيها ، لا غير ...وهكذا] .
[٤] من كمال المشيئة : أنها مقيدة بالحكمة (وما تشاءون إلا أن يشاء الله إن الله كان عليما حكيما) فلا يشاء الله إلا ما هو مقتضى كمال الحكمة المؤسسة على كمال العلم .
ـــ فمن علم الله منه أسباب الهداية ، كانت الحكمة في هدايته ، فيشاء الله هدايته (فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام) فضلا منه وكرما [إذ يعطيه أكثر مما تستدعي أسبابه] (ولكن الله حبب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم وكره إليكم الكفر والفسوق والعصيان أولئك هم الراشدون . فضلا من الله ونعمة والله عليم حكيم) .
ـــ ومن علم منه أسباب الغواية ، كانت الحكمة في إضلاله ، فيشاء الله إضلاله (إن الله يضل من يشاء ويهدي إليه من أناب) عدلا منه - سبحانه - (وما ربك بظلام للعبيد) .. ففي سياق سورة الإنسان (إن هذه تذكرة فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلا . وما تشاءون إلا أن يشاء الله إن الله كان عليما حكيما . يدخل من يشاء في رحمته والظالمين أعد لهم عذابا أليما) بين الله أن ظلم الظالم كان سببا في أن لا يشاء الله إدخاله في رحمته ، وكان ذلك مقتضى حكمته - تعالى - المؤسسة على كمال علمه به .

[٥] للعبد مشيئة بها يختار :
< ١ > فالعاقل يميز بين (ما يفعله بمشيئته) وبين (ما هو مجبور عليه بغير مشيئة ، أو بخلاف مشيئته) .. وإنكار الفرق بينهما مكابرة أو جنون .
< ٢ > والشرع أثبت للعبد مشيئة كما أثبت للرب مشيئة (وما تشاءون) هذه للمخلوق (إلا أن يشاء الله) هذه للخالق (رب العالمين) فتقييد مشيئتهم بمشيئته هو مقتضى ربوبيته لهم وللعالمين .

[٦] لا حجة لمن خرج عن طاعة الله ، في أن الله قد شاء ذلك ، لأسباب :

< ١ > العبد اختار بمشيئته دون إكراه ، فالمكره معفو عنه (إلا من أكره ...) .

< ٢ > العبد لم يكن يعلم ما يشاؤه الله ، فضلا عن أن يكون قد شاء قاصدا متابعة المشيئة الربانية ، لهذا يكذبهم الله في هذا الاحتجاج ويثبت جهلهم (سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا إن تتبعون إلا الظن وإن أنتم إلا تخرصون) .

[٧] وللكلام بقية متعلقة بحقيقة (الخلق) فنذكرها معها بإذن - الله - .

[١٥]

الإيمان بالقدر [٢]

آخر حقائق (القدر) :

(٤) خلق الله وحده لكل موجود سواه .
[١] بدليل : قوله - تعالى - : (الله خالق كل شيء) أي : مما سواه [كما هو مفهوم من كونه (خالقا) وغيره (مخلوقا)] .
[٢] وهذا العموم (لكل موجود سواه) يشمل : ذواتهم ، وصفاتهم ، وأفعالهم ، وثمرة أفعالهم . كما في الآية : (والله خلقكم وما تعملون) فبدأ بذوات المخاطبين ، المتضمنة لصفاتهم ، والمقتضية لأفعالهم ، وختم بثمرة أعمالهم (وما تعملون) أي : الذي تعملونه [تصنعونه ، فيكون ثمرة عملكم] .
[٣] و(الانفراد بالخلق) كمال ، تنفذ به الإرادة الكاملة ، فهو - سبحانه - (فعال لما يريد) .. والخلق آحاده من الأفعال المتعلقة بالمشيئة (الإرادة الكونية) وبالتالي المقيدة بالحكمة الكاملة [كما سبق عند الكلام عن (المشيئة)] . ثم إن هذا الانفراد بالخلق والأمر ، هو معنى انفراده (بالربوبية) لمن سواه (ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين) فربوبيته لكل (العالمين) وهي ربوبية كلها خير وكمال ، لأنها ربوبية الله (تبارك الله رب العالمين) .
[٤] أليس في المخلوقات : شر ونقص ؟
< ١ > قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " والشر ليس إليك " فالشر والنقص ليس في ذات الله ، ولا في صفاته ، ولا في أفعاله ، بل كل ذلك خير وكمال .
< ٢ > إنما قد يوجد الشر والنقص في بعض (المفعولات) وهي من (المخلوقات) في ذواتهم ، أو صفاتهم ، أو أفعالهم ، أو ثمرة أفعالهم .

< ٣ > ذلك الشر والنقص الذي قد يوجد في المخلوقات ، لوجوده ضابطان مهمان :
الأول : إنه منفصل عن الله (ذاتا ، وصفات ، وأفعالا) لذلك قال الله : (ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك) أي : تسببا .
الثاني : إنه ليس شرا ونقصا (من كل وجه) ، بل لا بد أن تكون له غاية من كمال الخير ، ولأجل هذه الغاية الكاملة (الحكمة) خلقه الله بمشيئته الكاملة ، لذلك قال الله : (لا تحسبوه شرا لكم بل هو خير لكم) .
ـــــ> فهو شر ونقص من جهة إضافته إلى المخلوقين ، لكنه خير وكمال من جهة إضافته إلى الله [مثل : عقاب المجرم ، شر ونقص بالنسبة له ، خير وكمال عدل بالنسبة لمن عاقبه] . وخير وكمال من جهة العاقبة وما تؤول الأمور إليه ، لأنه صدر عن (حكمة بالغة) .

[٥] ما علاقة مشيئة المكلف وفعله ، بمشيئة الله وخلقه ؟
< ١ > مشيئة المكلف وفعله داخلان تحت مشيئة الله وخلقه ، لأن الأولى مخلوقة ناقصة ، والثانية شاملة كاملة [وقد سبق بيان ذلك] .

< ٢ > فقد شاء الله وخلق للمكلف مشيئة بها يختار وقدرة بها يفعل . ولا يحاسب المكلف إلا على ما اختار فعله لا غير (لا يكلف الله نفسا إلا ما آتاها) ، فإذا سلب ما وهب (من عقل أو اختيار بإرادة للمكلف) أسقط ما أوجب (فلا يحاسب المخلوق على ما لم يختره بإرادته) .

< ٣ > لكن إرادة المكلف وفعله ليسا كاملين شاملين [كشأن ذاته وصفاته كلها ، وقد سبق بيان ذلك] بل هما مقيدان بمشيئة الله وخلقه ، فمشيئة المخلوق في حدود ما شاء الله له وخلق (وما تشاءون إلا أن يشاء الله رب العالمين) ، وفعله في حدود ما شاء الله له وخلق " واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء ، لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك . ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء ، لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك " .

< ٤ > وهذه العلاقة دائرة بين العدل الذي لا ينزل عنه أحد (ولا يظلم ربك أحدا) ، والفضل الذي يخص به من شاء من خلقه (ما أصابك من حسنة فمن الله) [أي : بسبب فضله وإحسانه ، مع عدم استيفائك لأسبابه] .

< ٥ > وبكمال الحكمة المؤسسة على كمال العلم يكون اختيار مواضع العدل [لأن العدل فيها هو الكمال] ومواضع الفضل [لأن الفضل فيها هو الكمال] (وربك يخلق ما يشاء ويختار) (إنا كل شيء خلقناه بقدر) (إن ربك حكيم عليم) .

< ٦ > يستطيع المكلف أن يفهم معنى كل ما سبق ، وأن يستيقن به قلبه ، وأن ينتفع بذلك في زيادة إيمانه علما وشعورا وعملا .

< ٧ > لكن المكلف يقف أمام حقيقة (أي : كيفية) هذه العلاقة بين المشيئتين والقدرتين والفعلين .. يقف عاجزا عن إدراكها .. لأننا قد نعرف حقيقة صفات المخلوق (كما قد نعرف حقيقة ذاته) ، لكننا لا نملك أن نعرف حقيقة صفات الخالق (كما لا يمكننا أن ندرك حقيقة ذاته) ، وبالتالي لا يمكننا أن نعرف حقيقة العلاقة بينهما . وهذا لا يضرنا بشيء ، ولا يفوتنا بسببه شيء مما نحتاج إليه .

< ٨ > فمن قصر في معرفة ما هو مطالب بفهمه من المعاني ، فاته نصيبه من الإيمان المطلوب . ومن حاول الدخول فيما لا سبيل إلى إدراكه من الحقائق ، ضل وزل وتناقض ولا بد .

٤.من قيمة الإيمان بالقدر :

(١) تعظيم الكمال الرباني ، الذي هو أكمل الكمال .

(٢) الثقة في الله ، والاعتماد على حوله وقوته ، والإعراض عمن سواه .

(٣) أن يعيش المؤمن بين الخوف والرجاء ، فالمستقبل غيب لا يعلمه إلا الله ، فيلتجئ إليه دون غيره .

(٤) التحرر من أسر التعلق بالمخلوقين وبأسباب الأرض كلها (لا تعظيما ، ولا خوفا ، ولا طمعا ، ولا خضوعا ، ولا اعتمادا) ، فإنه " لا حول ولا قوة إلا بالله " .

(٥) النجاة من تحطم النفس باللوم لها ، أو بسوء الظن بالمستقبل ، أو بفقدان الأمل ، أو ...إلخ .

(٦) الاطمئنان إلى العدل الرباني (قدرا) كما هو (شرعا) .

(٧) الثقة في انفراد الله بكمال الفعل ، وبحسن عاقبته للمحسنين .

حقيقة الإيمان ومراتبه

١.حقيقة الإيمان مركبة من شقين : قول ، وعمل [والاعتقاد قول القلب] .
ـــ حقيقة الإيمان تقع من اثنين : القلب ، والجوارح .
ـــ> فتكون الخلاصة الجامعة للحقيقة [كل قول وعمل يحبه الله] :

/ قول - عمل
قلب العلم/الاعتقاد/ الحب/التعظيم/الخوف/الرجاء/
اليقين - الخضوع/التوكل ...
جوارح نطق الشهادتين عمل اللسان (ما لا يقوم إلا به)
لدخول الإسلام - عمل الجوارح (ما لا يقوم إلا بها)
[المعبر عن قول القلب] [ذكر/صلاة/جهاد ...]

٢.الدين : أخبار ، وأوامر ،
ـــ فتحقيقه : تصديق الخبر ، والانقياد للأمر .

٣.مراتب الدين ثلاث :
(١) أصل الدين (الإسلام) : ما تثبت به حقيقة الإسلام ،
(أصل التصديق / وأصل الانقياد) ،
[باطنا / وظاهرا (لازم الباطن)] .
(٢) الكمال الواجب (الإيمان) : ما تثبت به حقيقة الإيمان (الكامل / أو المطلق) ،
(واجبات التصديق / وواجبات الانقياد) ،
[باطنا / وظاهرا (لازم الباطن)] .
(٣) الكمال المستحب (الإحسان) : ما تثبت به حقيقة الإحسان (المستحب مما هو فوق الواجب) ،
(مستحبات التصديق / ومستحبات الانقياد) ،
[باطنا / وظاهرا (لازم الباطن)] .
ـ> كل رتبة تتضمن ما سبقها وزيادة (فالإيمان يتضمن الإسلام / والإحسان يتضمن الإيمان) ، ولا عكس (فليس كل مسلم مؤمنا / ولا كل مؤمن محسنا) .

٤.الدين ثلاث مراتب ، وما ينافيه رتبتان (على الجملة) :
(١) نواقض الدين (الكفر) : ما ينافي أصل الدين (أصل التصديق / أو أصل الانقياد) ،
[ويكفي أن ينقض أحد الأصلين فيما يتعلق (بالرب/ أو بالرسول/ أو بالدين) ،
ولا يشترط أن ينقضهما جميعا] .
ـ> ما ذكر في الكتاب من (النواقض) :
[١] إما أن تكون نقضا لأصل التصديق [مثل : عدم تكفير من كفرهم الله ورسوله] ،
وإما أن تكون نقضا لأصل الا نقياد [مثل : الاستهزاء بشيء من دين الرسول] .

[٢] هي أمثلة انواقض مشهورة ، وليست حصرا للنواقض (بلا خلاف) .
[٣] منها ما عليه (الإجماع) من علماء أهل السنة [مثل : الاستهزاء بشيء من دين الرسول] ،
ومنها ما فيه (خلاف) بين علماء أهل السنة [مثل : السحر، ومظاهرة المشركين على المسلمين] .

ـــ الخلاف في السحر : بسبب الخلاف في حقيقته (هل لا يكون إلا بعبادة لغير الله ؟ أم لا ؟) .
ـــ والخلاف في المظاهرة : بسبب الخلاف في توجيه (حديث "حاطب" في فتح مكة) [والنقل المنسوب لابن تيمية لا يوجد بلفظه (لا في الموضع المشار إليه / ولا في غيره) فقد يكون فهما للبعض من كلامه ، فنقل عن نقل (للفهم ، وليس لنص الكلام)] .
[٤] تحرير تفاصيل (النواقض) ليس هذا محله ، وكذلك ضوابط (تنزيل الأحكام على الأعيان) لها بحث آخر [فليس كل من يقع في مكفر (بالضرورة) يحكم عليه (تعيينا) بالتكفير] .

[٥] قوله : (لا فرق في جميع هذه النواقض بين الهازل، والجاد، والخائف، إلا المكره) :
< ١ > هذا في العالم (لا الجاهل ، ولا المتأول) القاصد (لا المخطئ) .
< ٢ > (المكره) هو نوع من (الخائف) ، ففي (الخائف) تفصيل بين ما يعذر به وما لا يعذر به .
< ٣ > من النواقض ما لا يرد عليه (جهل) لأنه لا يحتاج إلى (علم) ، بل هو بنفسه ناقض يستحيل أن يجتمع مع (أصل الانقياد) إلا بأعذار أخرى [مثل : الخطأ / أو الإكراه] . ومن هذه النواقض لأصل الانقياد : (السب ، والاستهزاء ، والبغض ، والتنقص) .

(٢) نواقص الدين : ما ينافي الكمال الواجب للدين ، ويتضمن :
[١] الشرك الأصغر : [وقد سبق الكلام عنه] .
[٢] الكبائر : وهي ما فيه حد في الدنيا ، أو وعيد خاص في الآخرة .
[٣] الصغائر : وهي ما سوى السابقين من المحرمات .
ـــ> وهذه الذنوب :
< ١ > تدخل أولا في الموازنة بين الحسنات والسيئات ، فإن غلبت الحسنات نجا المكلف .
< ٢ > وإلا كان في مشيئة الله ، إن شاء عذبه ، وإن شاء غفر له (بشفاعة ، أو بغيرها) .
< ٣ > وإلا دخل النار حتى يتطهر ، أو يعفو الله عنه ، ثم يكون مصيره إلى الجنة .
< ٤ > وما سبق من الذنوب (الشرك الأصغر/ والكبائر/ والصغائر) لا يكون كفرا إلا بالاستحلال (تكذيبا / أو ردا) .

من خصائص أهل السنة

١ .لماذا كتبت المصنفات في بيان (الاعتقاد الصحيح) الذي هو (اعتقاد أهل السنة والجماعة) وهو (ما كان عليه الصحابة - رضي الله عنهم - ، لأنهم أخذوه عن النبي - صلى الله عليه وسلم - وورثوه للتابعين - رحمهم الله - من بعدهم) ؟
ــ وما سر إدخال (خصائص أهل السنة) في تلك المصنفات ؟
(١) لقد أخذ الصحابة الإيمان من الوحي (كتابا / وسنة) ، وكذا نقلوه لمن بعدهم .

(٢) ومخالفة صحيح الاعتقاد قد أخذت صورتين :
[١] الردة عن الإسلام بالكلية ، وهذه كانت كفرا صريحا بالإسلام ، ولم تخف على أحد .
ــ> ثم بقي لها صور تتنوع وتتعدد في العصور المختلفة ، فيتكلم عنها علماء زمانها [مثل : كلامهم عن (القاديانية) الناشئة في الهند ، أو (النصيرية) المتسلطة على سوريا] .
[٢] الإحداث في الدين مع الانتساب له ، وهذه بدع تتفاوت في بعدها عن السنة . ولما كانت هذه البدع تنتحل الانتساب إلى الدين ، أمكن أن يغتر بها ناس من المسلمين . لذلك كان جل اهتمام المصنفين في (العقيدة) التفريق بين (العقيدة السنية الصافية) وبين (عقائد المبتدعين) بمختلف طوائفهم .
ــ> ولا زالت البدع تتولد وتتنوع في الأمة ، وكلما حدثت بدعة قام أئمة السنة بردها ، فاتسع الكلام في تفاصيل (العقيدة) بمقدار ما كثرت تفاصيل (البدع) فيها [مثل : كلامهم عن (الخوارج والمرجئة) من قديم ، وعن (العلمانيين) في الحديث] .

(٣) ولأجل بيان هذا الهدف : التفريق بين أهل السنة (أهل الاعتقاد الصحيح) وبين غيرهم من أهل البدعة (أصحاب الاعتقادات المنحرفة) ، لأجل ذلك أضاف العلماء في كتبهم عن (العقيدة) قضايا أخرى، ليست في أصلها من (حقيقة الإيمان ، وما يتعاق به ، وما ينافيه) ، لكنها وثيقة الارتباط بها ، وعبر التاريخ وإلى يومنا هذا قد صارت (خصائص) يتميز بها أهل السنة عن أهل البدعة (كلهم / أو بعضهم).
ــ> وهذا سر إلحاق (الخصائص) التالية بقضايا (العقيدة) .

٢.من أهم خصائص أهل السنة :
(١) الإيمان بأن الإسلام (عقيدة / وشريعة) ، وأن (شريعة الإسلام) هادية وحاكمة لكل (زمان / ومكان) . وأن (رفض الشريعة) له نفس حكم (تكذيب الشريعة) ، وعليه فإن (العلمانية) بدعة مكفرة [كما سبق] .
(٢) الإيمان بأن الأصل في الإسلام هو (اتباع السنة) المأثورة في (العلم / والعمل) ، وأن كل ما أحدث خلاف السنة فهو (بدعة مردودة) [خلافا لمن جعل الأصل في الدين ما تتوهمه عقولهم القاصرة ، أو ما توحيه لهم خيالاتهم المشوهة] .
(٣) من الإيمان : محبة الصحابة ، واعتقاد فضلهم ، والترضي عنهم [كما سبق في (حجية فهم السلف)]

وإثبات خلافة الراشدين الأربعة على الترتيب [خلافا لمن طعن في دين أو خلافة بعضهم ، من المبتدعين . فإن الطعن في الصحابة طعن في الدين الذي نقلوه] .

(٤) المسلم أخو المسلم ، أخوة دين تجمع بين المسلمين، وتسوي بينهم ابتداء، وتجعل الولاء على الإسلام، والتفاضل بتحقيق الإيمان [خلافا لمن جعل الولاء على أرض أو نسب أو رأي . فكل دعوة لتفريق المسلمين بغير حق هي دعوى جاهلية] .

(٥) وبما أن الشريعة لا تقام ، والأمة لا تجتمع كلمتها ، إلا بإمام شرعي (يخلف النبي - صلى الله عليه وسلم - في حراسة الدين وسياسة الدنيا به) فإن السعي في تنصيبه ونصرته ومناصحته .. كل ذلك واجب شرعي بالإجماع [خلافا لدعاة العلمانية المعاصرة] .

(٦) يجب التوازن بين (ملازمة الحق) و (ملازمة الجماعة) ، فلا نضيع الحق حفاظا على الجماعة ، ولا نمزق الجماعة لأجل أي حق ، بل (قد جعل الله لكل شيء قدرا) [خلافا لمن غلبوا أحد الأمرين بإطلاق ، دون مراعاة لمراتب الوجوب ، ولما يحقق مقاصد الشريعة] .

(٧) إنما ينصر الدين : بالحرص على (الإيمان) وبالصبر على (الجهاد) ، فتحقيق الإيمان (بمراتبه) وإقامة الجهاد (بأنواعه) هما السبيل إلى (إحياء الأمة / وتمكين الدين) .

(٨) من واجبات الدين ومعالم اتباع السنة : حفظ حقوق المسلمين ، ولزوم حسن الخلق معهم [خلافا لسلوك أهل البدع مع باقي أمة المسلمين] .

(٩) والأصل في معاملة المسالم من غير المسلمين : العدل والإحسان [فسيبقى في الدنيا غير مسلمين (إلى زمن نزول المسيح)] .

(١٠) من سمات المؤمنين (الشورى) ، إذ لو استغنى عنها أحد لاستغنى عنها المعصوم - صلى الله عليه وسلم - .

(١١) قطب رحى الدين : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، إذ بهما يحفظ الحق وتصوب حياة الأمة ، لذلك كانا وصفا مميزا للمؤمنين عن المنافقين .

(١٢) الواجب على كل مسلم : (معرفة الحق / والعمل به) بقدر الإمكان . فتفاوت الواجب من ذلك على كل مسلم ، مرده إلى تفاوت الممكن لكل منهم .

(١٣) يسع كل مسلم : ما وسع أهل العلم الخلاف فيه من (المسائل الاجتهادية)، مع وجوب تحري الحق، واستحباب الحرص على الورع، دون تفريق الأمة بمثل هذا الخلاف، ودون التثريب على من خالف (بوجه معتبر) عند أهل العلم .

الشهادتان

١.منزلتهما :

(١) (الإقرار بهما) أول أركان الإسلام ، ليثبت عقد الإسلام في الدنيا وتترتب عليه حقوقه .
(٢) (التصديق / والانقياد لهما) أصل أركان الإيمان ، لتتحقق سعادة الدنيا ونجاة الآخرة .
(٣) لذلك كانتا أول ما يدعى العباد إليه (شهادتي : التوحيد / والرسالة) .
(٤) وعنهما يتفرع بقية الدين ، وحقيقتهما سارية فيه كله .

٢.الشهادة لله بالتوحيد :

(١) لأن (الوحدانية) أكبر حقيقة في الوجود ، ولولاها لفسدت الحياة .
(٢) فتعلم (التوحيد) أعظم واجب ، وتحقيقه أعظم سبب لخيري الدنيا والآخرة .
(٣) وضده (الشرك) أشد ظلم وأخطر محرم ، وهو كفر يفسد على العبد دنياه وأخراه [سواء أكان بالتثنية / أو بالتثليث / أو غير ذلك] .

٣.الشهادة لمحمد - صلى الله عليه وسلم - بالرسالة :

(١) ملازمة لشهادة التوحيد ، فلهما معنيان ، لكن حكمهما واحد (فإما أن يثبتا / أو أن ينتفيا) .
(٢) من خصائصها :
[١] ختم النبوة بها من محكمات الدين المعلومة بالضرورة ، ونقض ذلك كفر بالإجماع .
[٢] عمومها لكل المكلفين من حينها لإلى آخر الزمان ، فكل من لم يدخل فيها ممن خوطبوا بها كان كافرا ، وكل من قصرها على بعض المكلفين دون بعض كان كافرا .
[٣] نسخها لكل شريعة جاءت برسالة قبلها ، فلا يقبل بعدها إلا الإسلام (الذي بلغه النبي - صلى الله عليه وسلم -) .

(٣) الرسالة السابقة كانت للمسيح - عليه السلام - :

[١] وهو عبد الله ورسوله ، بكلمة (كن) خلق من غير أب [كما خلق آدم من تراب] ، وروحه من الأرواح المخلوقة من الله - تعالى - .
[٢] وقد بشر المسيح بمحمد - صلى الله عليه وسلم - ، وأمر قومه أن يؤمنوا به [بميثاق الأنبياء] .
[٣] فالمسلم المؤمن برسالة محمد - صلى الله عليه وسلم - (المتضمنة للإيمان برسالة عيسى) هو أولى الناس به ، لأنه من حقق الاستجابة له .
[٤] المسلمون وسط في عيسى - عليه السلام - بين غلو النصارى (الذين رفعوه من الرسالة إلى الألوهية) وجفاء اليهود (الذين نزلوا به عن الرسالة إلى الطعن في نسبه) ، فالمسلمون هم المؤمنون به حقا ، وقد كفر به كل من الغلاة والجفاة [أي : النصارى واليهود] .
ـ> سر الاهتمام بهذه القضية :
[١] شدة اختلاف الناس فيها .

[٢] كثرة وامتداد هؤلاء المختلفين إلى زماننا ، وتجدد دعاواهم الباطلة .
[٣] نقص العلم وشيوع الافتتان ببعض الباطل في هذه القضية .
[٤] خطورتها لارتباطها بأصل الدين (التوحيد / والرسالة) .